

نساء في هولوكوست الأسد

ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،

مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان

بالاستماع لشهادات حيّة للناجيات الضحايا



نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG



حقوق النشر محفوظة للكاتب (منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان)

الطبعة الإلكترونية الأولى 31 يناير 2023



MIZAN-HR.ORG



+90 536 072 24 02



info@mizan-hr.org



twitter.com/mizan_org



facebook.com/profile



youtube.com/channel



instagram.com/mizanorg

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / [WEB MIZAN-HR.ORG](http://WEB.MIZAN-HR.ORG) / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

جميع القصص المكتوبة ههنا حقيقة، دُونت وصيغت عن بطلاتها،
يحكيين قصصهن وقصص أبطال وبطالات غيرهن، مازالت
فصول جديدة في حكاياتهن واقعاً مستمرا؛

دعونا نقرأ حكاياتهن المُدَوَّنة بجلسات استماع مسجَّلة لهن،
أنجزها خبراء ومختصون في منظمة ميزان للدراسات وحقوق
الإنسان، وصاغوها بأسلوب قصصي موحد، دونما أي تغيير في
الحقائق، فقط السيناريو للضرورة الأدبية وبعض الأسماء
والأماكن، أجروا عليها تعديلات لحماية الخصوصية؛

استغرق العمل عليها سبعة شهور، ليست كالشهور التي عاشها
الضحايا في السجون المغلقة والمفتوحة على جروح لم تندمل
لديهم ولدى أحبابهم بعد؛

جدول المحتويات

القصة 1 - تغير اسمي من نور إلى رقم تسعة 5

القصة 2 - زوجي العميل طلقتي 33

القصة 3 - في ساحة التعري قتلوا باسل 62

القصة 4 - سفرة الطعام الشهية تكسر خاطري 80

القصة 5 - ابني شهيد وليس فطيسة 104

القصة 6 - قال لي لا تحلفي بالله، احلفي بشيءٍ آخر 121

القصة 7 - أين طفلي؟ 132

القصة 1- تغير اسمي من نور إلى رقم تسعة

لو كان موتي اختياري ما ترددت، لو استطعت محو ذاكرتي ل فعلت، ومع كل ليلة أغمض فيها عيني، تعاودني كوابيسي التي عشتها حقيقة، وتأبى مغادرتي حتى في يقظتي؛

في زمن مضى كنت وطفليّ الإثنين وزوجي نعيش مع أهله، المكوّنة أسرتهم من عمي وزوجته وابنتيه وابنه؛

كنت حاملاً ببنت، عندما بدأت الثورة، وكان زوجي يشارك سلمياً في المظاهرات وكنت مع نساء الحارة نؤازرهم الهتاف من فوق أسطح المنازل، حتى إذا ما باشر النظام اقتحامه المنطقة وهجومه على العزل تطوع زوجي مثل باقي الرجال لحمل السلاح دفاعاً عن الأهالي؛

وحكايتي بدأت مع تعميم اسم زوجي على الحواجز ضمن قوائم المطلوبين، داهموا بيتنا أول مرة فلم يجدوه، ثم جاؤوا مرة ثانية حوالي الساعة الحادية عشرة ليلا كنا جالسين أنا وزوجي مع بعض أفراد عائلته في إحدى غرف البيت؛

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

وإذ بطرقٍ على الباب لأحد عساكر حاجز النظام المُتموضع أمام بيتنا في حمص، سمى نفسه أبا محمود، طلب ماءً للشرب، ثم سأل قريبتنا الذي فتح له الباب عن اسمه؟

قال: أنا اسمي فادي.

فسأله مع من تعيش هنا؟

فعدد له أسماء الرجال من أهل زوجي ومن بينهم اسم زوجي عمر. فتأكد العسكري أن زوجي في البيت.

غاب عشر دقائق ثم عاد مع دورية مكّونة من ضابط وملازم وخمسة عساكر طوّقوا بيتنا بأسلحتهم الروسية وبدأوا بضرب الرصاص في السماء ثم دخلوا واعتقلوا زوجي، على أنه مطلوب لأحد الفروع الأمنية؛

والد زوجي المسكين ما ترك مكاناً إلا وقصده في رحلة بحثه عن ابنه دونما جدوى، وأخوه تعرّف على ضابط أمن، أخبره أن زوجي معتقل في الفرع لديهم؛

لم تتمكن من رؤيته، فالزيارات ممنوعة، ولم نستطع التحقق من وجوده، فلا أسماء معلنة لديهم، حتى بات جلّ همنا معرفة إذا ما كان على قيد الحياة.

ثم وبعد ثلاثة أشهر أمضيها في القلق واللوعة، شاءت الأقدار أن يعود زوجي إلينا، بسبب خطأ وقع منهم في الأسماء؛

في اليوم التالي جاءت دورية أمنية وداهمت بيتنا بحثاً عنه، ومن أجل حماية العائلة أنكرنا رؤيته، وقلنا لهم بأنه لا يزال عندهم، ومن أجل استدراك خطأهم بإخراجه بدلاً من شخص آخر، تكررت مداهماتهم منزلنا؛

وزوجي منذ خروجه هرب مختبئاً في مناطق بعيدة عن عيونهم، وهم لشهرين كاملين مستمرين في مداهمة وتفتيش منزلنا بالليل والنهار، بمعدل ثلاث مرات في اليوم الواحد، يدفعون الباب فجأة بأرجلهم دونما إذن، وبطريقة همجية، لا يكثرثون لحرمة البيت ومن فيه من نساء وأطفال؛

يدخلون دونما شفقة وشتيمتنا واحتقار ديننا لا تغادر ألسنتهم
وابسط ما يرددونه " أنتوا، وتخفوا تحت حجابكم وعباءاتكم
أخلاقكم الوسخة "

عند دخولهم يبدأ جسمي بالارتجاف ويصفرّ وجهي حتى أنني لا
أستطيع الحراك من مكاني، أحاول جاهدة ضبط نفسي كي لا يروا
خوفي، وعلى هذه الحال بعد أيام وضعت حملي، بولادة ابنتي
بعيدةً عن عيون والدها وحضنه؛

بعد فترة علمنا أنّ جميع أسماءنا مُعمّمة بين المطلوبين على
الحواجز، وقرر والد زوجي الخروج بنا إلى لبنان، مستخدماً قيود
مدنية بأسماء مزورة، وفي الصباح الباكر خرجنا بباص صغير،
محمّلين معنا السجاد وأغراض البيت البسيطة وعربات الأطفال
والحقائب، وعند أحد الحواجز أوقفونا، علمنا لاحقاً أنهم علموا
بأمرنا عن طريق هاني - ابن عم زوجي - والذي كان بينه وبين
زوجي مشاكل وثارات، استفاد منها كعادته النظام ووظفها ليُجعل
منه مُخبراً علينا، وما إن علم هاني بأمرنا عن طريق والدته، حتى
أوصل إخبارية للأمن بأننا سنخرج تهريباً بقيود مزورة؛

وعلى الحاجز سألوا السائق: هل أنت عمار؟

قال: نعم.

سألوه: هل معك شخص يدعى سمير ومعه عائلته؟

قال: نعم، هم يجلسون في الخلف.

كان الضابط ذو وجه بشع شنيع لا أنساه ما حييت، جاء إلى باب الباص الخلفي فسحب الباب بقوة لفتحه، من شدة غضبه وعزم يده انكسر زجاج الباب، كانت أخت زوجي تجلس قريبا من الباب فشدها من حجابها الذي خرج بيده فانكشف شعرها ثم شدتها بقوة إلى الخارج وسقطت على الأرض، بدأ يصرخ بها: أنت يا..... يااا..... أنت التي لم تدعينا ننام ليلاً ولا نهاراً، واستمرّ بشتمها وهو يجرّ جسدها على الأرض وهي تضرب نفسها وتقول لهم: لست أنا، لست أنا

قال: كيف لست أنت يا؟ ألسنت زوجة عمر؟

قالت مشيرة إلى الحافلة لست أنا، هي في الداخل

ركلها بحذائه ليرميها بعيداً عن طريقه، ثم اتجه نحونا، أمسكني بذات الطريقة من حجابي فكشف شعري وجرّ ركبتي على الأرض من الحافلة إلى داخل بناء الحاجز وابنتي التي لم تتجاوز الشهرين لاتزال في حضني.

أنزلوا حماتي وباقي البنات والسائق وأدخلوهم إلى الداخل، جاءت حماتي وأخذت من حضني طفلي وأنا أترجاها ألا تأخذها عسى أن يعطفوا علي ويرحموني لأجلها، وإن لم يكن في قلوبهم شفقة فقد يزعجهم صوت بكائها ويتركونني بسببه، كنت متعلّقة بأي شيء من شدة خوفي، لكنها أخذتها وخرجت بها إلى خارج ممر البناء حيث البقية ينتظرون؛

بدأ بضربي بالإبراهيمي (أنبوب حديدي ملفوف ببلاستيك أخضر اللون يشبه أنابيب التمديد الصحي) على ظهري حتى فقدت الإحساس به، وهو يضرب بقسوة ويقول: والله سأشوّه لك وجهك والله سأفعل بك كذا وكذا (.....) ثم ضربني على ساعدي فانشقّ جلدي، ومن شدة خوفي على وجهي حميته بيدي فكسر الابراهيمي سني وشقّ فمي ويدي اللتين لا تزالان حتى الآن تحملان آثار

تلك الجروح، أمسك برأسي وبدأ بكل حقد يضربه بالحائط وهو يسب ويشتم ويتوعد: الآن سترون أنتم السنّة ماذا سيحدث بكم، سأجعل منك عبرة لهم جميعاً.

كنت بنصف وعيي، وهو يأمر ضابطاً آخر برتبة ملازم أن يصورني وينشر الصور مع باقي العساكر، ثم ربط يديّ على النافذة وشقّ معطفي وملابسي وأخذ يغتصبي ويضربني بالإبراهيمي والملازم يصوّر ما يحدث، عندما انتهى هو أمر الملازم باغتصابي وقام هو بتصويري، كان جسدي كله يؤلمني ولا أشعر به، لا أعلم أي جزء من جسدي يؤلمني رأسي وظهري ورجلاي أو يداي، لا أعلم كيف أصف شعوري في ذلك اليوم، لم أعد أهتم بما يجري لي قدر اهتمامي بالفيديو الذي صوروه ويهددونني بنشره؛

كان يقول: "سننشره لنري العالم أنكن أنتنّ المسلمات عاهرات و..... وأن هذه أفعالكن ومن طبيعتكن" لا أستطيع وصف حجم الحقد الذي بداخلهم تجاهي.

خرج الضابط وذهب إلى غرفة التحقيق التي فيها عمي، ثم خرج الملازم وأقفل الباب، كان ممنوعاً دخول أي شخص إلى الغرفة التي كنت أتواجد فيها، كنت بحالة يرثى لها لم أكن أعلم ما هو مصيري وماذا ينتظرني، كنت أسمع صوت التعذيب الذي كان يتلقاه عمي في الغرفة المجاورة، ولكن لم أكن أفكر بأحد غير أولادي، كان أكثر ما يخيفني هو مصير أولادي، كنت أفكر هل سيقتلونهم؟ أم سيعذبونهم؟ كنت أفكر بهم أكثر من نفسي، أموت أو أعيش لا فرق، لكني كنت خائفة على مصيرهم، بعدما رأيت العساكر أسوأ من الوحوش.

عاد الضابط وربط يدي واقتادني إلى غرفة مجاورة، كأنها غرفة تحقيق من الباطون، فيها ضوء أبيض خافت وجدرانها ملطخة بالدماء، فيها كرسي خشبي قديم وطاولة خشبية قديمة ملطخة بالدماء أيضاً، بدأ بسؤالي عن زوجي ومكانه قال لي: اعترفي وإلا سيحدث لك أفظع مما حدث بك قبل قليل في الغرفة.

قلت له: لو كنت أعلم مكان زوجي لكنك طلبت منه أن يرسل لي مصروفاً للأولاد، أنا لا أقبله ولا أعلم أين هو.

قال: لا، أنت كنت تريه وتقابلينه في بيت ابن عمه،

حقاً كنت قد التقيت زوجي مرةً في بيت سامي ابن عمه، وما لم أكن أعلمه أنهم قبل يومين اعتقلوا سامي، وأنه اختفى نهائياً حتى وجد الأهالي ذات صباح جثته ممزقة وملقاة على الطريق، فقط لأنه أدخل زوجي إلى بيته وجمعه بعائلته وأولاده)

ثم شغل الضابط مسجل صوت صغير فسمعت صوتي وصوت زوجي ونحن نتحدث على الهاتف الثابت لبيت عمي، لم نكن نعلم أن الهاتف مراقب، كان يقول لي فيه: رتبوا أمركم كي تخرجوا من هناك عندما تخرجون سترتاحين أنت والأولاد واحذري أن تخبروا أحداً بأمر خروجكم... كل ذلك أسمعني إياه حتى آخر التسجيل عندما انتهى الاتصال أطفأ المسجل وقال لي: أتكذبين علينا يا كذا وكذا؟ من هذا الذي كنت تتحدثين معه؟ أعشيقك هذا؟! وهذه البنت أليست ابنتك؟! هل هي ابنة عشيقك!؟

كان الكلام قاسياً كان يرمي بشتائه التي لا تُطاق ولا تُوصف، لم أرد بأية كلمة فقط كنت أرتجف خوفاً، لم تخرج من فمي إلا كلمتان: ما ذنبي أنا وأولادي إن كان هو مع الجيش الحر؟ هذا

فقط ما نطق به فمي فأمسك الكرباج وأخذ يضربني فيه ثم جرّني إلى الغرفة مرة ثانية دون أية رحمة.

كنت أعدّب بغرفة وعمي بغرفة أخرى، وصوت كل صفة يتلقاها ترن في أذنيّ، كانوا يقولون له: أنت تعرف مكان ابنك وستعترف به.

يقول عمي: أنا سأعترف بما أعلمه هو كان يقابل زوجته وكان يعطيها المصروف، أنا ليس لي ذنب، أنا رجل كبير بالسن، لماذا تعتقلوني أنا لا أفيدكم بشيء. كان بعد كل جملة يقولها يضربونه ويهينونه ويشتمونه. قالوا له: كنتك تقول إنها لم تكن تلتقي به.

يرد عليهم: لا هي كانت تلتقي به وكانت تكلمه. ربما من شدة التعذيب اعترف بكل شيء وهو كبير السن في الخامسة والستين من عمره لم يحتمل الضرب، في الوقت الذي كنت أنا أنكر كل شيء.

جلبوا عمي إلى غرفتي لمواجهتي، كانت معالم وجهه قد تغيرت وعيناه متورمتان بشدة، فقال لي: يا ابنتي عندما تخرجين لا

تتحدثين معه، لا تقابليه، تبرّي منه، قولي له: طلقني، أنا كان لي ابن ولم أعد أعترف به، الله يغضب عليه.

هو قال ذلك وأنا كدت أفقد عقلي وجسدي يهتز ويرتجف بشدة، فالتفت إلي الضابط وقال: هكذا إذاً، من شدة الخوف ترتجفين، نحن سنجعلك ترتجفين بحق؛

زادوا عليّ بالضرب والتعذيب وكأنهم بدأوا من جديد، ضربني الضابط كثيراً على وجهي وأذني حتى ثقب غشاء الطبل لدي، فقدت من وقتها السمع بأذني اليمنى نهائياً، وبت أعاني من دوار مستمر؛

ثم وبعد ذلك أخرجوني أنا وعمي من غرفة التحقيق، فأخلوا سبيل عمي وبناته وزوجة عمي - التي أغمي عليها ما يقارب الساعتين - قالوا لهم: أنتم لا دخل لكم، اقتربت مني زوجة عمي لتأخذ أولادي وهي تقول ما ذنب الأطفال دعيني آخذهم معي، لكن الضابط رفض وهددها بأنه سيطلق عليهم الرصاص أمام عينيها، فقلت: اتركهم، نعيش معاً أو نموت معاً.

سخر الضابط قائلاً: كفاكما جدالاً ليس القرار عندكما، إن أردت سأقتلهم الآن وأمام عيونكم، وضعوا البندقيات الروسية برأسي ورؤوس أولادي وقاموا بتسجيل فيديو، يهددون فيه زوجي بأنه إن لم يسلم نفسه فوراً سيقومون بضرب النار علينا، تمنيت من شدة ألمي وخوفي من بقائي مع أولادي تحت رحمتهم، أن يفتحوا النار علينا ويقتلونا جميعاً؛

بعد ذلك علّق في رقبتي ورقة مربوطة بخيط كان قد كتب فيها رقم 9، من حينها لم يعد اسمي نور بل رقم 9، سعدوا بنا في ممشي مزدحم برجالٍ يتعرضون لأبشع التعذيب، لمحتهم يطفنون السيجار العريض بوجه وجبين أحدهم، وآخر كانوا ينفون بأيديهم شعر صدره كي يعترف، ورجل مربوط من ذراعيه - مجرداً من جميع ملابسه - وهم يضربونه بالإبراهيمي، ضربات قوية تشق جسده؛

مشاهد فظيعة أخرى لا يمكن أن أنساها على هذا الممشى، على جانبه تتوزع غرف كثيرة، وكما ترمى بضاعة تالفة ألقوا بي مع أولادي في أحدها، وفيها ما يقارب 50 امرأة، يتكلمون في

مساحة لا تتجاوز 12 متراً، كنت خجلة جداً من مظهري ومما تعرضت له، معطفي ممزق، بنطالي مشقوق، وساعدي ينزف دماً، لم يكن في هذه الغرفة أطفال سوى أطفالي، فاقتربت مني معتقلة كبيرة بالسن تدعى أم بكر واحتضنتني، بدأت بمواساتي وهي تخاطبني يا ابنتي، ثم احتضنت ابنتي المتعبة من شدة البكاء، وأجلستني بجانبها وهي تسألني ماذا حل بك؟ قلت لها ضربوني وعذبوني بالإبراهيمي؛

قالت لي: هل اعتدوا عليك؟

خجلت أن أقول لها ما حل بي وبدأت بالبكاء.

فقالت لي: اعتبريني أمأ لك هنا وقولي لي ما حل بك.

فبدأت برواية كل ما جرى لي، فأخذت تواسيني وتشرح لي أن كل المعتقلات الباقيات حلّ بهن ما حلّ بي، وبعضهن حلّ بهن أسوأ مما حلّ بي، على عكس ماكنت أظنه أنني الوحيدة التي تم اغتصابها وفعلوا بها ما فعلوا، قالت لي إذا كنت أنت فقط ضابط وملازم، منهن من اغتصبت من قبل العساكر بل ومن قبل أكثر من واحد حتى تعود منهكة لا تقوى على الحراك، كانت أم بكر

كلما ذكرت اسم أحد من المعتقلات أخفضت صوتها، تذكرت كلام العسكري لم يعد لك اسم لدينا، فقط رقم أنت الرقم (9).

فهمت من أم بكر أنّ الهدف من هذه الأرقام ألا يتعرف أحد من المعتقلين أو المعتقلات على الآخر خلال المناداة، وخاصة إذا ما كان هناك أقرباء أو جيران أو أصدقاء في غرف أخرى؛

لم يتركوا جراحي ترتاح كثيراً، ففي اليوم الأول أخذوني أربع مرات ليضربوني ويعذبوني بذات الوحشية، حتى أولادي لم يسلموا من ضربهم خاصة عندما يكون، النوم حرمان آخر بسبب ضيق المساحة، فلكل واحدة منا بلاطتان فقط من الغرفة، لا يمكننا الاستلقاء بأجسادنا على الأرض، ونقضي الليل كما النهار جلوساً، في الليل تزداد المعاناة، من جهة صراخ الرجال والنساء تحت التعذيب وبكاؤهم لا يدعنا نغفو لحظة واحدة، ومن جهة أخرى بكاء أولادي الخائفين وبكاء رضيعتي الصغيرة من شدة الجوع والبرد، ابني الكبير في جمود وابنتي الوسطى لم تبرح الخوف والسكوت، الذعر في عينيها ولا تبرح ملاصقتي متمسكة بي،

وكلما نظرت إلى أطفالي، تمنيت أن يريحهم الموت معي من هذا العذاب؛

ليومٍ لم نكن قد تناولنا شيئاً من الطعام، وحينما ازداد بكاء ولدي تضرعاً من الجوع، أخرجت أم بكر من بين ملابسها قطعة خبز يابسة كانت قد خبأتها وأعطتها له فالتهمها رغم قساوتها؛

ومع صباح اليوم التالي أخرجوني من جديد إلى الضابط للتعذيب، في هذه الأثناء كانوا قد جلبوا وجبة طعام إلى غرفة معتقلنا ولم أتناول منها شيئاً، يكررون ذلك مرتين في اليوم، والوجبة تتكون من حبتين زيتون مر وقطع بطاطا مسلوقة تشبه من قسوتها الحجر وحبّة بندورة ورغيف خبز يابس، مرة واحد كل أسبوع يقدمون لنا قطعة من الحلوة؛

شدة الجوع تدفع الجميع للأكل، وأولادي يتناولون هذا الطعام رغم أنهم لا يتقبلونه، صراخ صغيري بسبب عدم كفاية الوجبة له، دفعني للطلب من أم بكر أن تعطيني شقفة الخبز التي اعتادت أن تدّخرها، خجلت من طلبي عندها أخبرتني أنها تخبئها لأنها مريضة سكر وأن جسدها إذا جاعت يرتجف وتفقد قواها؛

في منتصف تلك الليلة، علا صراخ رجال ونساء، وصوت رجل مقهور يكسر بنحيبه الصمت بين جلسات التعذيب، دفعتني فضولي للسؤال عما يجري، وعلمت حينها من المعتقلات أنّ الاغتصاب لا يطال فقط النساء بل الرجال أيضاً. بدأت أفكر من جديد بمصيري ومصير أولادي هنا ماذا سيحل بي وبهم، لم أذق طعم النوم طوال الليل؛

كلما بكى أبني يدخل العسكري كالوحش ويضربه على رأسه حتى يسكت، وابنتي تصاب بارتجاف في جسدها كلما دخل، طفلتى الصغيرة لا تشبع ويشتد بكأؤها بين الحين والآخر فيدخل ويصرخ بي قائلاً: أسكتيها وإلا سنقوم بإسكاتك أنت وهي على طريقتنا، كان كلما دخل أحدهم يكاد قلبي يتوقف، فأقف وأبدأ بالدوران بها في مكاني الضيق، وأحياناً أقف بها في غرفة المرحاض؛

في نفس غرفتي كان هناك معتقلة تدعى ثريا كانت دائماً تنظر إلى بنظرات غريبة وكأنها تعرفني وتعرف أبنائي ولكن لم أعرفها، وكثيراً ما كانت تتقرب من أولادي وتلعب معهم؛

في مساء اليوم الخامس عشر من اعتقالي نادى العسكري: رقم (9) نهضت فربط يدي ببعضهما خلف ظهري ثم أمسك بإحدهما ليسير بي حيث غرفة الضابط، وعندما دخلت أغلق الباب قائلاً أهلاً وسهلاً، أشرفت الأنوار!

خفت أكثر كنت أفكر ما هو مصيري الآن على يديه، ربما يكون هذا هو يومي الأخير، في قلبي أخذت أردد الدعاء بالصبر والاستجارة بالله، هنا قال لي: ماذا تحبين أن تشربي؟ ساخن أم بارد؟

قلت: لا أريد شرب شيء.

قال: أنت (ولي) حيوانه، لا تتمرد علي، أنا أقول لك أنتشربين بارداً أم ساخناً؟

قلت: قلت لك، لا أريد بارداً ولا ساخناً.

قال: لا تتواقي ولا ترفعي صوتك أمامي، مهما علوت لن تعلي أكثر من هذا الحذاء، سأكرر لآخر مرة: بارد أم ساخن؟

قلت: قلت لك، لا بارداً ولا ساخناً.

نهض من أريكته بكل قوته وصفعني على وجهي وقال: عندما أقول بارداً أو ساخناً، فهذا يعني أنك ستشربين.

قلت: لا أريد، إن شاء الله أشرب السمّ.

قال: حسناً، سأسقيك السمّ الآن أنا وبيدي.

أشعل سيجارة ثم أراد أن يجبرني على أن أشرب منها، لكنني قاومته وبشدة، أمسكني من شعري من الخلف وبدأ بضرب رأسي بالحائط، من شدة ضربه لي لم أعد أشعر بالألم فقط بل بخدر في رأسي.

ثم عاود اغتصابي بذات الطريقة التي فعلها أول مرّة، ثم قال: أعاود سؤالك تشربين بارداً أم ساخناً (لثَرُوقِي دَمِك).

لا أعرف كيف استجمعت قوة قلبي لأبصق في وجهه، مُعْلِيَةً صوتي في وجهه ومكررة حسبني الله ونعم الوكيل؛

أمسك الابراهيمى وبدأ بكل قوته وحقده يضربني، وأنا أعلي الصراخ راجية أن يسمع صوتي من هم خارج المكان فيدخل

أحدهم وينقذني، ضحك الضابط قائلاً "اصرخي يا..... يا.....

يا.....، فما من أحد في هذا العالم غيرنا وبشار رب الكون"

مخاوف كثيرة تدور في رأسي، ماذا سيحلّ بي بعد تحويري من المفرزة إلى الفرع الذي يطلبني، ربما كنت من المفقودين، ربما سيحتفظون بي طوال حياتي هنا، مرت بي سريعاً وجوه كل البشر الذين أعرفهم، المتظاهرين، الجيش الحر، أصحاب البدلات الذين كنت أراقبهم على شاشة التلفاز، زوجي، أبي، أهلي، يخالطني مع الأسي الأمل أن من في الخارج لن يتركوني، مضى وقت لا أعلمه وأنا في أحلامي التي أيقظني منها صوت الضابط ينادي السجناء قائلاً: اسحبها كما تسحب الكلاب وخذها إلى الغرفة وارمها هناك كما تُرمى الكلبة، ممنوع عليها الأكل والشرب حتى الغد؛

فتح الباب ورمى بي إلى أرض الغرفة، كنت بالكاد أجزّ جسدي المنهك أريد أن أصل إلى مكاني، أسرع إلى ابني وابنتي وحضناتي وهما يبكيان، وخالتي أم بكر كذلك حضنتني وبدأت تبكي، وتقول لي ماذا جرى لك، ماذا فعلوا بك؟

قلت: ماذا سيحدث لنا، ماذا ينتظرنا، أريد أن أصرخ، أريد أن أضرب وأن أشتّم، ولم يكن باستطاعتي فعل شيء من ذلك، حدثت نفسي بأن أقتل نفسي، فكرت أن موتي وأولادي أرحم لنا مما يجري، أوشتكت على الانهيار؛

قالت: يجب أن تصبري، إن لم يكن من أجلك أنت فمن أجل الأطفال، ويجب عليك أن لا تنهاري أمامهم.

أما ثريا فكانت تنظر إلي وتضحك بسخرية وسخف قائلة: يعني ماذا سيكون قد حدث لها، أليس من المعلوم ما جرى لها، ألا تعلمون ما فعلوا بها!؟

نظرت إليها وأنا أشعر باستغراب وقهر قائلة حسبي الله ونعم الوكيل، ثم التفت إلى خالتي أم بكر وسألتها: من هذه؟

قالت: هي ثريا، ألا تعرفينها؟ وبقيت تحكي لي عنها وعن عائلتها وعنوان سكنها حتى عرفتها وعرفت علاقتها الحميمة بعائلة هاني ابن عم زوجي، والغريب أنها لم تخبرني بأنها تعرفني أو تعرف عائلة زوجي؛

مخاوف جديدة بدأت تعاودني أكثر من قبل، وفوق ما كنت أعانيه بدأت أخاف هذه المرة من معتقلة تعاني مثلي وربما أكثر مني، أخاف من الفضيحة ومن حديث النساء والمكائد التي تنتظرني، من الشارع سيعيرني بما جرى لي هنا، لن أستطيع كتم شيء بعد الآن، قصتي ستدور على كل لسان، وسأعرض لكلام الناس الذي لا يطبق إنسان حمله؛

قضيت مع أطفالي باقي الأيام في عذاب مضاعف ومزدوج، أصبحت رقماً ينادونها به، وهم يعرفون عن كل معتقلة كل شيء، اسمها، سيرتها، أهلها، وكافة التفاصيل، وبتنا نحن المعتقلات نعرف أنهم لا يستدعون الواحدة منا لتحقيق أو استجواب كما يدعون بل لإشباع ملذاتهم الشخصية بالرغم عنا؛

كانت الغرفة مفروشة ببطانيات وهي بذاتها ما نتغذى به، داخل الغرفة مرحاض معه صنوبر ماء قريب من الأرض، كنا نستخدمه لتنظيف أنفسنا بعد قضاء الحاجة ولغسل وجوهنا وأيدينا وأجسادنا، وهو ذاته مصدرنا الوحيد لشرب الماء، كانت الأوساخ والقذارات تكسو المرحاض من كل جانب فكنا نغمض أعيننا ونغلق أنوفنا

عندما نشرب مجبرات من شدة العطش، ولم يحصل أن أعطونا
أياً من الصابون أو المنظفات.

يصغون إلينا من خلف الباب وينزلون أشد أنواع الضرب على
من يُسمعون صوتها تصليّ، لمح أحدهم فجأة إحدى البنات تصلي،
ففتُح الباب ودخل وانهال على ظهرها بالضرب وهو يقول:
أتصليين يا! تريدين الدعاء علينا!

أوضاع أولادي تزداد سوءاً يوماً بعد يوم، ابني وهو نائم تأتيه
حالات من الارتجاج وتدموم وقتاً وأنا أحاول إبقاظه وهو لا يشعر
بي، ابنتي فجأة وكلما ناديتها باسمها ينتفض جسدها، وتشخص
عينها، وتستغرق وقتاً حتى تهدأ في حضني؛

عذاب آخر أعانيه وأنا أشتاق لوالدي الحنون، كبير السن، وخاطر
يعاودني آنذاك أنه الوحيد الذي يتألم لأجلي، يضاعف تفكيري هذا
من آلامي، أتذكره - وأنا في كنفه - كيف يعرف ما أريد قوله قبل
بوحى به، ومع ظلال كل ليل يهبط عليّ بظلمه، كنت أحتضن
أولادي وفي مخيلتي ذكريات أبي بصوته ووصاياه القديمة "

انتبهي على نفسك، انتبهي على زوجك، أنت بالنسبة لي أعلى من كل هذه الدنيا "

ثم وفي ساعة كأنها حلم، بعد قرابة شهر ونصف من اعتقال نادوا رقم 9، فخرجت كالعادة والسجان يربط يدي ببعضهما ويشدني ليسير بي أمامه، دخلت إلى غرفة الضابط فتفاجأت بأبي أمام عيني، ركضت نحوه وحضنته وبدأت أبكي وأبي يبكي معي، أخذ يواسيني لا تهتمي يا ابنتي ستخرجين أنت وأولادك ولن يصيبكم مكروه بعدها، وأنا أستمع لحديث والدي فرحت وبنفس الوقت حزنت، فرحت لأنني سأخرج من هنا وحزنت عندما تذكرت ثريا وأنها ستخرج يوماً وتروي كل ما حدث لي، خفت من وقع كلامها بين الناس على أبي وأهلي؛

رأيت والدي يعطي رزماً من المال للوحوش الذين أهانوني واغتصبوني وعذبوني، ثم خرجت بعد أن ختم العسكري على يدي وقال لي: إن مررت على الحواجز أرهم هذا الختم كيلا يعقلوك وإياك أن يُمحي هذا الختم وإلا ستعودين للمعتقل، هرولت وما خطر في بالي كم سيصمد هذا الختم الحبري؟

اصطحبونا بسيارة عسكرية حسب أوامر الضابط، وأوصلونا إلى آخر حاجز في المدينة وأركبونا في حافلة نقل عام لتوصلنا إلى قريتنا التي يعيش فيها أهلي، وكان قد أخبر سائق الحافلة بأن يخبر الحاجز القادم بأنه هو من أركبني هنا وأني خرجت للتو من مفررتهم؟

وأنا في الحافلة مع والدي، ما كنت أصدق أنهم فعلاً تركوني، تارة كنت أبكي وتارة أخرى كنت أضحك، لم أكن أفهم المشاعر التي كانت تغمرني، سألني أبي: احكي لي يا ابنتي هل صنعوا بك مكروهاً؟ ماذا فعلوا بك؟

قلت له: لم يفعلوا بي شيئاً سوى الضرب والإهانة – لم أشأ كسر قلبه ولم أخبره بشيء؛

أستطاع أبي إنقاذني، علمت أنه بذل جهداً طويلاً ليقابل الضابط، وأن الضابط لم يكثرث لشرحه أن لا نذب لي ولا لأولادي، وأسئلته تركزت فقط على ما يملكه أبي من مصدر عيش وحيد، ثلاثون رأساً من الغنم يسرح بها في مزرعة صغيرة يملكها في إحدى قرى حمص ولا يملك غيرها، وعلى ذلك وافق الضابط

على إخراجي وأولادي مقابل خمسة من النعاج الولود وخمسة من الحملان الصغار وعشرة من باقي الغنم ومبلغ 175 ألف ليرة سورية يسلمها إياها بيده، ليفرج عنا مباشرة دونما تحقيق أو محاكمة، أسرع في بيع المزرعة بسعر بخس وبجلب المبلغ مع الغنم الذي طلبوه وأخذنا معه ونحن على غير ما كنا عليه نحن؛ وصلنا بيت أهلي، وأقرباؤنا وجيراننا كانوا قد اجتمعوا لديهم، منتظرين بشوق وفرح لحظة وصولنا، لقائي بوالدتي كان الأكثر فرحاً وألماً، كانت تنظر إلى وكأنها تعلم بكل ما حدث لي، احتضنتني وبكى كثيراً حتى غطى صوت بكائنا المكان، كانت قد حضرت لي ولأولادي ألد ما أحب من الطعام، بطاطا وتبولة وسمك وكباب وحلويات، تناولت قطعة صغيرة من السمك وحبنتين من البطاطا ولم يعد بوسعي أن أكمل، ولداي استفرغا أول لقمتين بعد تناولها، وكان نظيف الطعام لم يعد يستقر في أجسادنا بعد أن ولغت فيها أقدارهم.

كنا نعاني من الجرب والقمل، احتجنا لعدة أيام حتى ننظف أنفسنا ونستعيد بعض التأقلم مع حياتنا الطبيعية، علم أهل زوجي

بخروجي فجاؤوا لاصطحابي مع أولادي إلى بيتهم، لكني رفضت، سيما وأن زوجي ليس معهم، فضلت البقاء في بيت أهلي؛

وبقي همي أولادي وما يعانوه من خوف مستمر لم يغادرهم، ومن البكاء لأتفه الأسباب، والرجفان بمجرد أن يتحدث أحد معهم، من الفرع يوقظهم خلال نومهم دونما سبب، وقلبي الضعيف بدا أكثر صلابة من أجلهم، كم تمنيت نزعه ووهبه لهم؛

بعد شهر تقريباً وكنت ما أزال في بيت أهلي، وزوجي يحاول جلبني وألادي إليه في مكانه خارج المنطقة، حدث ما خفت منه بخروج ثريا، التي أخبرت الناس بما وقع علي في المعتقل، ووصل حديثها إلى أهل زوجي، فأعلم حموي والدي بالخبر، أجابه والدي بغضب " ابنتنا هي ابنتكم وشرفها من شرفكم، لا يجب أن تهتموا للترهات، وإن كانت حقيقة فلا ذنب لابنتي فيها، وقد تعرضت لها تحت التعذيب والقهر، عليك أن تحمد ربك على سلامتها، وعيب عليك تأتيني لتلقي اللوم عليها"

الصدمة التالية كانت في زوجي، لم يعد يرغب بإحضاري إليه، سمعت أنه يفكر بأن يطلقني، وكلما اتصل بي يشعرني بالذل والإهانة، حتى تمنيت لو أنني مُتُّ ولم أخرج من المعتقل، صدمني أنه لم يفكر أن ما جرى في حقي كان بسببه هو ومن أجله، وكلما شرحت التعذيب الذي تعرضت له، زاد في اتهامه لي بجلب الذل والعار لهم؛

قاومت بقوة الإهانة والعذاب والألم والاعتداء في المعتقل، ثم كابرت على جراح في قلبي، وسببها هذي المرة لي زوجي الذي أحب، وصبرت حتى هدأت بعد شهر نفسه، وأخذ يعاود محاولاته في إحضاري من أجل العيش معه في لبنان التي وصلها منذ زمن؛

وبالفعل سلكت طرق التهريب بعيداً عن الحواجز، وعند وصولي إليه لاقاني والطيبة قد عاودته، احتضنني وأولادي والسعادة بادية عليه، يبهر بعينيه في وجوهنا ودموعه تملأ وجهه، وأيام قليلة سعيدة لم تدم فيها فرحتنا، وكان ماضي اعتقالني بات جزءاً من مستقبلي، فبين كل فترة وفترة يعاود قلب زوجي المكسور إيلامه،

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

اعتدتُ على فهم شروده وعلى تجاهل نظراته، حتى يفصح بأسئلته عما حدث لي، وأنا أتهرب من الجواب كيلا أعذبه بالألم الذي عشته، وكيلا يتركني وينتشرد أطفالي، وأهله يزيدون الطين بلّةً بكلامهم المهين في ظهري بحقي، خمس سنوات مرت على خروجي وهم على موقفهم لا يكلمونني، ويلحون على زوجي بأن يتركني وينساني كي يزوجه ممن هي أفضل مني، يسمعونه أنه لا يجب أن يعيش طوال حياته في الذل معي، وأنا لا أرد على كلامهم، وأحاول ألا أهتم، فقط أتحسب الله على ما أعيشه؛

حقاً نجوت من المعتقل، وما نجوت من كوارثه النفسية والجسدية، يشتد عليّ الأسى مع اضطراب لم يغادر أولادي، وكلما نسيت تذكرني آلامي بأزماتي، ديسك في ظهري يستمر بإيلامي، كشفت صورة الرنين أن فقرتين مكسورتين في ظهري من شدة التعذيب، ووجع في قدمي يعاودني فلا أستطيع المشي عليها، وصمم في أذني اليمنى خلفتها مع دوار دائم صفعات الضابط المتوحش، وأسئى يشتد عليّ وأنا أبصر في عيون وحركات وسكتات أطفالي أمراضاً نفسية وجسدية، سعادتهم وحياة أفضل لهم - جُلّ ما أتمناه - وأن ينتهي هذا الألم إلى الأبد فلا يتعرض له أحد.

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

القصة 2 - زوجي العميل طلقني

وأنا في عقدي العشرين، وُلدت من جديد مرتين، الأولى حينما زرت بيت الله الحرام، والثانية فور عودتي إلى بلدي وحناجر الشبان تصدح بالحرية وتملاً كل مكان، روجي تشدني للانضمام بسعادة وحماسة إليهم، وفي ذات يوم كسرت الخوف وتحذيرات أمي، وكما خططت تركت صالون الحلاقة النسائية الذي كنت أعمل فيه، مرتدياً الملاية كيلا يعرفوا شخصيتي، محلقةً في شوارع الحرية، وأجمل أيام العمر، لم تدم طويلاً حتى اشتدت في شهر شباط القبضة الأمنية على الزبداني، ووابل من الرصاص والقذائف يمطر أهلها، ويخلف في كل يوم ضحايا، تحولت معهم إلى ممرضة بعدما خضعت لدورة بسيطة، ثم، وإثر تدمير القصف لكثير من بيوت الحي أجبرني إخوتي على مغادرته مع أمي، فيما هم بقوا فيه؛

مكثنا في بلودان أسابيع حتى انتهى القصف، أو هكذا ظننا، وعدنا إلى بيتنا حيث ملاذنا الآمن، ما كنت أظن أنه لن يكون بعد اليوم آمناً، وأن الأقبية ستكون مستقرّنا، فقد تجدد القصف وعادت رائحة الموت تملاً المكان، عادت الاعتقالات، وعدنا نفكر من جديد بالرحيل؛

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

حزمتُ أمتعتي مع أهلي وتوجهنا نحو مدينة دمشق، حيث منزل أختي المتزوجة هناك، وأختي الأخرى المقيمة في الكويت أرسلت بطلب زيارة لأبي وأمي من أجل أن يمكثا عندها، لكنهما أجلا ذلك من أجلي، وبانتظار أن أعطي جوابي لشباب من الزيداني تقدم لخطبتي، فوافقت ليطمئن والديّ، رسمت حلماً جميلاً أعود به إلى الزيداني، موطن عشقي، وأبني مع زوجي الذي بقي فيها عشي الدافئ، لبست في حلمي فستاناً أبيضاً وسرحت شعري كما كنت أفعل في صالون الحلاقة لمئات الفتيات، سرت في زفتي إلى بيت زوجي والعراضة الشامية على صوت الطبول تتقدمني، لحظات واستفتت على أصوات للقدائف عادت تنهمر، وأنا عروس دونما طرحة، أركب الميكرو باص في طريقي لزوجي والمجهول ينتظرني؛

لم أبن معه عشاً هادئاً فقد دمر القصف أول بيت نسكنه، والخوف مستمر في كل وقت من حملات تتكرر في الاجتياح والاعتقال، حملت، وأكثر ما كنت أخاف عليه هو جنيني الذي في بطني، وقد أعياه جوعي ونحن في الحصار، لا خبز ولا ماء، حتى اضطررت من جديد لمغادرة المدينة مع النساء، ودعت زوجي الذي بقي فيها، ومعني فقط بلوزة وبنطال على أمل ألا يطول الفراق، توجهت وحيدةً

إلى مضايا، ومكثت في بيت ابنة عمي الذي لاحقنا القصف فيه، فغادرت ابنة عمي إلى لبنان، وكان عليّ البحث عن منزل جديد، تحت القصف والحصار وغلاء الأسعار، لا أنا قادرةً على الالتحاق بزوجي ولا أنا قادرة على الصمود لوحدي؛

مصيبيتي الكبرى كانت في بطني، فالمخاض جاء وجنيني في شهره السابع، لا قابلة أو طبيب في المنطقة، دلوني على بيطري، ووافق أن يجري لي عملية قيصرية، أخبرني خلال ذلك أن المخدر منتهي الصلاحية، بذل ما يستطيع من جهد، لكن مات طفلي؛ تمنيت لو أبقيته في بطني يتنفس فلا يموت حلمي، نزفت بعد العملية كثيراً بسبب البقايا المتروكة في رحمي، وضعوا لي سيروماً وكيساً من الدم، وأخبروني أنني أحتاج أكثر لكنه غير موجود، بقيتُ خمسة أيام دونما طعام والجوع شديد، تُباع المواد الغذائية في ذلك الوقت بالملعقة أو بالقطعة، فملعقة المربي بـ 1000 ليرة، قطعة الجبنة بـ 2000 وأنا مثل الجميع في ترقب للفرج، يعيننا الأمل على الصمود، حتى جاءت الأخبار عن إجلاء الأمم المتحدة الأسرى والجرحى من مضايا، وكنتُ ضمن قائمة الأسماء الذين تم إجلاؤهم لوضعي الصحي بعد الولادة، بقيت محتارة في وجهتي الجديدة بين خيارين، دمشق أو

إدلب، ومن أجل أن أبقى قريبة من زوجي الذي اتفق معي على أن يتبعني أخترت دمشق؛

وزعوا المصابين والجرحى على مشفين في دمشق، أحدهما ابن النفيس الذي وضعوني فيه، وظننتُ أنني سألقى الرعاية الطبية المناسبة، لكن ذلك لم يحدث، أدركت أننا في مشفى يشبه المعتقل، أختي جاءت لزيارتي ولكنهم منعوها من رؤيتي، وهكذا بقينا لأيام تحت الإهمال وسوء المعاملة حتى تم وضعنا في حافلة مليئة بالنساء والأطفال والمرضى، قال لنا الضابط أنهم سيقومون بتسوية أوضاعنا لأننا قادمون من منطقة ساخنة، واقتادونا لمكان يدعى مركز ماهر الأسد للإيواء، وجدنا فيه أناساً آخرين، يتجمعون في غرف مشتركة ويستخدمون حمامات مشتركة، بعضهم مضى على بقائه هناك أكثر من عام، وعندما سألتهم لماذا؟ قالوا لي بأن هذا اختيارهم، لم أطمئن لإجاباتهم، فكرت أنهم أيضاً لم يطمئنا لي ليجيبوني! فكرتُ بمصيري لوهلة، هل سأبقى هنا! هل هذه هي النهاية! أم بداية بؤس جديد!

تواصلت مع أشخاص من مضايا وأخبرتهم بما جرى لي، فطلبوا مني أسماء من كانوا معي من أجل إعلام الأمم المتحدة بذلك، في مساعٍ لإخلاء سبيلنا، اجتهدت بتدوين الأسماء حتى حذرتني إحدى النساء من المخبرين في المركز ومن أن يكتب أحدهم تقريراً بي في ذلك، فمزقتُ الورقة، وحذفتُ جميع الرسائل السابقة من جوالي، كنت قبل ذلك قد أرسلت المعلومات كاملة تباعاً، لم أكن قد استعدت عافيتي، وبسبب الخوف وسوء التغذية أصبت بهبوط حاد في ضغطي، تكرر علي ذلك حتى أسعفوني إلى المشفى وأنا في حالة إغماء، وهناك جاءتني البشرية، قرار إخراجنا من المركز صدر، وما علينا إلا أن نأخذ وثائقنا ونرحل، أخبرتُ زوجي ليرسل لي سيارة تأخذني إليه، وكان آنذاك يقيمُ في وادي بردى، وبالفعل عدتُ إليه وحاولتُ البحث عن طبيبة نسائية لاستكمال علاجي ولكنني لم أجد، فقررتُ الذهاب إلى دمشق من أجل العلاج؛

على أحد الحواجز، يوم 19 نيسان 2016، وأنا في طريقي لدمشق يرافقتني أمل جديد بحياة أفضل، كنت أسمع الموسيقى عبر سماعات أضعها في أذني، ولم يقلقني أنني وجدتهم يقبلون الهويات التي أخذوها من السائق، ذلك أنني خرجت من مركز الإيواء بعد أن سواوا وضعي

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

وأخبروني بأن لا مشكلة تجاهي، تأخروا قليلاً فتلاشى الهدوء، ولاحظتُ أن جميع الركاب ينظرون خارجاً، ما الخطب؟ لا بد من وجود مشكلة تجاه أحد الركاب؟ حدثت نفسي متمنية له السلامة، أطفأتُ الموسيقى ونزعتُ السماعات، وتفاجأتُ بصوت أحد العناصر يصرخ باسمي أنا، أين ريمما؟ قلتُ وكلي خوفٌ أنا هي، ذهب العنصر وأحضر معه آخر ينادي على اسمي مجدداً قائلاً "الله يعدمني إياها" مسكني كما تمسك الفريسة ضحيتها، وسحبني من معطفي وأنزلني من الباص، حاولتُ أن أطلب من السائق التواصل مع زوجي ليخبره بما حصل، ونزلتُ دون أن أعي ما ينتظرني! راودني ألف سؤال ولا إجابة واحدة! رن هاتفي، لقد كانت أختي، ولم يسمح لي العنصر بالرد، طلب مني إغلاق الهاتف، توسلته دونما جدوى فقط أن أخبر أختي بمكاني لتطمئن أهلي، وضعوني في غرفة صغيرة، وسمعتهم يقولون، سيارة الأمن في الطريق لتأخذها، خارت قواي وبدأت أشعر بالتعب وآلام شديدة في الرأس، جعلتني مع الخوف أصرخ، فأعطاني أحد العناصر حبة دواء قائلاً هذه لتهدئة الصداع، شعرت بعد تناولها أنني في عالمٍ آخر، أخافني الوضع أكثر فعمدت إلى التركيز؛

اقتادوني في السيارة، وتذكرتُ أن في حقيبتِي ورقةً من مركز الإيواء، فحاولتُ خفيةً أن أمزقها، ولكن أحد العناصر انتبه لي وصرخ في وجهي منتزعاً القصاصات من يدي وهو يقول سنرى ما فيها في الفرع؛

وصلتُ إلى الفرع، أخذوا أغراضي في الأمانات، لم يُبقوا معي سوى كيس محارم صحية، سألوني هل أنت متزوجة؟ قلتُ لا، فلم يكن زواجنا مثبتاً في المحكمة، وكان زوجي مطلوباً لديهم، فخفتُ عليه وعلى نفسي من ذكر اسمه؛

كان بحوزتي 100 دولار كنت قد وضعتها في حمالة صدي لأتعالج بها في دمشق، ترددت في تسليمها للأمانات بدايةً، لكن العنصر قال لي "أعطني ما عندك قبل التفتيش، إذا أبقيت شيئاً فسوف أضربك" خفتُ وأخرجت ما لديّ وسلمتهم النقود، أنزلوني إلى المهجع، وفيه عشر نساء، ورئيسة للمهجع اسمها مرح، مرح تعمل راقصة ومغنية شعبية، كانت تستجوبني، لماذا أنت هنا؟ ماهي تهمتك؟ لم أشعر بنفسي إلا وأنا نائمة، فقد أنهكني التعب والإعياء، لم أشعر بما حولي، ولم أستطع الإجابة على أي سؤال، استيقظتُ

على صوت إحداهنّ: أفيقي إنهم ينادون عليك، لم أكن أعي إن كان حتماً أم حقيقة، بدأوا باستجابي، وسؤالهم الأول: هل أنت متزوجة؟ شعرتُ بأنهم يعرفون كل شيء، ويجب أن أقول الحقيقة، فقلتُ نعم أنا متزوجة، اكتشفتُ من خلال الأسئلة أنهم يعرفون عني أدق التفاصيل، عملي بمراكز الإيواء، التمريض، الجمعية الخيرية في مضايها، الأشخاص الذين عملتُ معهم، لم أستطع الإنكار تحت تأثير الدواء العجيب الذي تناولته عند الحاجز، ووسط التعب والإرهاق أردتُ فقط الخلاص وأن يعيدوني للمهجع، لأنام بسلام؛

أعادوني إلى المهجع وأنا منهكةً متعبة، عرفت أنني في فرع الدوريات 216 بمنطقة القزاز، بنات المهجع بدأتُ يواسيني، تعرفت عليهن، نتحدث تارة ونبكي تارة أخرى والأيام تمضي، أما مرح رئيسة المهجع فكانت تتأمر وتتجسس علينا، تحاول أن تعرف قصة كل سجينة حتى تبعث بالأخبار إلى الضباط، والنساء كنّ على علم بوضعها وكنّ حذرات خلال الحديث معها، لم تأتِ إلى المهجع بسبب موقفها من النظام كما تدّعي، وإن كانت قد شتمتهم مرّةً، فهم يعاقبونها ويُشغّلونها لصالحهم في كل مرة؛

بقيت في الفرع 11 يوماً، كانت الأيام والساعات تمر ببطء شديد والذكريات تراودني، أمي، زوجي، أخي الذي استشهد، أختي المعتقلين، ثرى هل هم في أروقة هذا الفرع! هل من الممكن أن يكونوا بالمهجع المجاور! هل ممكن أن أسمع صوتهم! تمنيت كثيراً وبكى كثيراً، ثرى متى سينتهي هذا الكابوس اللعين! مصير مجهول، وغد مظلم كظلام ذلك المهجع، مضت الأيام ثقيلة حزينة مؤلمة مفعمة بالذكريات الحلوة والمرّة، تمنيت لو أنني بقيت في الحصار، وكابدت الجوع والعطش إلى آخر عمري، تمنيت لو لم يسقني قدري إلى مصيري المجهول، تمنيت لو أنني لم أشهد قصة إحدى المعتقلات، أحضروها مع ابنها الرضيع وزجّوا بها في المهجع بدونه وقد ملأ بكأؤه المكان، وهي تتوسل ليعيدوه دون أن تفلح محاولتنا التخفيف عنها، تمنيت لو أنني أستطيع أن أساعدها، فاستغاثتها ما تزال في أذني؛

صباح اليوم ال 11 استدعوني والسجان يقول أحضري كل أغراضك، صديقاتي في المهجع بدأن يوصيني أن أتواصل مع أهاليهنّ وأزواجهنّ، اجتهدت في حفظ الأرقام والعناوين، وعندما خرجت من الباب لم يدعني العناصر أذهب حرة، فقد اقتادوني إلى

الحافلة، فأدركت أنني ذاهبةً إلى فرع آخر، معاناة أخرى ومصير جديد مجهول، تذكرت حديث النساء في المهجع، تذكرت قصة إحداهن عما جرى لها في فرع آخر من تعذيب وتعرية واعتداء، لهجت بالدعاء، حتى قاطعني أحد العناصر متسائلاً في غضب "بما تُتمتمين يا كذا وكذا" كأنهم قد شهدوا من قبل أسرار الدعاء، كأنهم يخافونه ويحقدون علينا أكثر بسببه، ويجدون الحل في كتم أنفاسنا، لا بمراجعة أنفسهم، فيزدادون ظلماً؛

وصلتُ إلى فرع الخطيب 251 بشارع بغداد، التقطوا لي صوراً جانبية وأمامية، أخذوا أغراضي ووضعوني في أحد المهاجع، وتفاجأتُ بنساء كنّ معي في فرع الدوريات، كان المهجع مكتظاً بالنساء ولا نستطيع النوم إلا بالتناوب، معاناة جديدة، وما سمعت عنه من تعنيف نفسي وجسدي بات حقيقة، في أول يوم تحقيق معي، طلبوا مني أن أضع عصبة من الكرتون على وجهي، أمسكت بظهر العنصر ليقنادني إلى التحقيق، بدؤوا باستجوابي: من أنتِ؟ وما هو عملكِ؟ ومن أين؟ تفاصيل أخرى؟ حاولت أن أتظاهر بالغباء لأنفذ منهم، ولكنهم بدأوا بالصراخ والشتائم بأبشع الألفاظ، طلبوا مني أن أفتح صفحتي على الفيس بوك وأضع الشيفرة الصحيحة، وإلا سيزيد

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

عقابي، بدأوا بقراءة منشوراتي، كنتُ أكتبُ منشورات عن الحصار ومعاناة الناس وأشعار محكية، فسألوني عن زوجي، قلتُ لهم أننا منفصلان، وهو يحاول الإساءة لي عبر صفحتي، ظننتُ أن هذه الحيلة ستنتظلي عليهم ولا تسبب الضرر لزوجي الذي هو أصلاً غير متواجد في مناطقهم، لكنهم لم يفتنعوا، فكل النساء يقلنَ نفس الجملة ونفس الحجة، وصلوا إلى صور زوجي على الفيس بوك، وخلفه في إحداها مكتوب على الجدار جبهة النصر؛

أزالوا العصبية عن عينيّ وقالوا لي أقرأي ماذا كُتِبَ هنا؟ قلتُ مرتعدَةً: جبهة النصر، فجاءتني الصفحة الأولى. أعادوا السؤال مرة ثانية، وأعدتُ نفس الإجابة فكانت الصفحة الثانية، واستمرّ التحقيق على هذا النهج، اتهموني بإدخال الذهب والمال والسلاح إلى الزبداني، وأنا لم أفعل ذلك فأنكرتُ بشدة، استمروا في ضربي حتى بدأ الدم يخرج من فمي وتكسرت أسناني، كنتُ أعاني قلة التغذية وضعف الكلس والفيتامينات فزاد هذا في إنهاكي؛

أعادوني إلى المهجع وأنا مضرجة بالدماء، النساء المتواجدات قمن بقص قماش من حجابهن ليوقفن تدفق الدماء من جسدي، بعد ست

ساعات أعادوني إلى التحقيق لم يبالوا بوضعي ولا يهتم إن كنت متعبة أم لا، فتحوا جوالي وقاموا بالاستماع إلى التسجيلات الصوتية لوالدتي والتي أرسلتها للاطمئنان عليّ، لم أكن قد سمعتها من قبل، فأصبتُ بالانهيار وبدأتُ بالبكاء والصراخ، إنه صوت والدتي ملهوفةً عليّ، ولا أستطيع الرد عليها وإخبارها بأي شيء، أمر المحقق بفك العصبية عن عيوني، رأيته يقلب صوري الشخصية في جوالي، أشار إلى صورتي وسألني: من هذه الجميلة؟ فقلتُ أنا، نظرت إليه فأخافتني ملامحه، يجلس خلف طاولته وبجانبه شخص آخر، عاود المحقق تقليب الصور مجدداً، وسأل عن صورتي وأنا أجلس على الأرجوحة، قال: ما هذه؟ فقلتُ: أرجوحة، ضحك ساخراً وقال: أرجوحة!! أم أنها الأداة التي كنت تغرين بها جنودنا يا..... صرختُ بملء صوتي: لا لا إنها أرجوحة فقط، استمر التحقيق لمدة ساعتين وأعادوني إلى المهجع، كان يوماً قاسياً دامياً تعرضتُ فيه للضرب المبرح والشتم والإهانة، وأنا المدللة عند أهلي، آخر العنقود التي لم يضر بني أبي ولا أحد من أهلي قط، ها أنا ذا أتعرض لكلّ هذا التعذيب والتعنيف والإساءة، إلى متى! وما الذي ينتظرني! وإلى أين المفر! إلى متى كل هذا الذل! كل هذه الأسئلة كانت تعصر

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

فؤادي، أنظر إلى وجوه المعتقلات التي ملأها الحزن والألم، كنتُ
أتمنى أن أصرخ وأبكي ملء الكون ولكن هل من مجيب!!

في اليوم الثالث تم استدعائي مجدداً، أجبروني أن استلقي على
الأرض ويدي مربوطتان للخلف، وبدأ بسؤالي عن أسماء من عملوا
في جمعية خيرية كانت مخصصة للمساعدات الإنسانية، أنكرت في
بداية الأمر ولكن الضرب أجبرني على إعطائه ألقاباً لشهداء وأناس
خارج البلاد، توقعت أن هذا سينفعني، لكنهم ضربوني واتهموني
بكتم جنائية، سألني عن اسم امرأة فقلتُ: لا أعرفها، فاشتد في ضربني
على بطني وظهري وسحلني على الدرج، سمعتُ صوتاً لإحدى
المعتقلات في غرفة مجاورة وهي تصرخ وتقول "لا تفعلوا، سأدلكم
على بيوتهم، سأدلكم على بيوتهم" في الغرفة المجاورة استمروا
بالتحقيق معي وأنا جاثيةً على ركبتيّ وسألوني عن كمية الذهب
والأسلحة التي أدخلتها إلى الزبداني، ولكنني أنكرتُ وبشدة، فكيف
أعترف بشيء لم أفعله! انهال عليّ بالضرب على وجهي وظهري
وبطني وكأني لستُ بشراً، وتوعدني ساخراً: لا تعرفين أليس كذلك!
سأجعلك تنطقين رغماً عن أنفك، وأنا لا زلتُ أصرُّ على الإنكار
بأنني لم أفعل ما يقوله عني، فجأة سمعتُ صوت شخصٍ يئنُّ بالقرب

مني، التفتت إليّ المحقق وقال لي: هل تعرفين من هذا! قلت: لا ... ضحك ساخراً بنظرة كلها حقد واقترب من أذني وصرخ إلى أحد العناصر "اخلعوا ملابسها وقوموا بتعريتها وأدخلوها إلى مريض السل هذا" لم أشعر بنفسي إلا وأنا تحت أقدام المحقق أتوسله وأبكي ألماً وقهراً، أريد أن أقبل قدميه، أي شيء أفعله لأنقذ نفسي من التهلكة، سأعترف بما لم أقم بفعله! لقد اعترفتُ كذباً "أجل أنا أدخلتُ الذهب والسلاح نعم نعم فعلتها" ضحك ساخراً وقال لي: كان يجب أن تفعلي ذلك منذ البداية، جاء بأربع ورقات فارغة وجعلني أوقع عليها دون أن أعرف ماذا سيكتب فيها، حزنت كثيراً، فكان من الممكن أن يقول لي منذ البداية وقّعي دون اللجوء إلى الكلام القاتل الذي وجّهه لي، عدتُ إلى المهجع، وأنا أتذكر ما حدث معي، كيف كانوا سيرسلونني ليغتصبني مريض السل! كيف ضربوني بلا رحمة! حاولت المعتقلات في المهجع التخفيف عني وطمأنتي، فبعد أن وقعتُ على الأوراق لن يستدعوني مجدداً، وربما يتم إخلاء سبيلي، ولكن لا أحد يستطيع أن يجزم بذلك، وما عليّ الآن إلا أن أعدّ الأيام، وبدأتُ أفعل ذلك، كنتُ أشاهد نساءً يُخلى سبيلهن، وبعضهن الآخر يحوّلن إلى سجن عدرا للتحقيق معهن من قبل

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

القاضي، بعضهن يعيدوهن ليُكلمن أوراقهن وإضبارتهن في فرع الخطيب، نساء كثيرات عدن، ونساء خرجن من الفرع وأنا ما زلتُ في مكاني؛

في فرع الخطيب كانوا يقدمون لنا وجبتي طعام، آخر وجبة تكون عند العصر ونبقى بعدها بدون طعام إلى اليوم التالي، بعض المعتقلات تخبئن القليل من الطعام عصراً لتأكلنه ليلاً، والطعام عبارة عن أرز مطبوخ بماء البندورة وبطاطا مسلوقة ولكنها نيئة، وهو في كميته لا يقي الجوع، وأنا كنت من قبل أعاني قلة الطعام بسبب حصارنا في مضايا والزبداني، وبالكاد جسدي الهزيل يتحمل، طبيب السجن لا يعطينا شيئاً، الصلاة ممنوعة، وكاميرات المراقبة متوزعة في كل الغرف، كنتُ أتوضأ بالحمام، وأحاول أن أبحث عن مكان بعيد عن الكاميرات لأصلي، الغرفة كانت صغيرة، والحمام بداخلها دون باب أو ساتر، والنساء يقضين حاجتهن ويستحمون داخل ذلك الحمام، فتقوم بعضهن بوضع ساتر لبعضهن الآخر، وفي بعض الأحيان كنّ يقمن بغسل صحون العناصر في الحمام ليعيدوها لهم نظيفة بناء على أوامرهم، المكان بارد ورطب ومليء بالقمل والحشرات، الجدران مخطوطة بأسماء المعتقلات، وتاريخ

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمراً، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

مغادرتهن المهجع وكم يوماً مكثتَ فيه، كتبتُ أنا أيضاً اسمي على ذلك الجدار الأسود، وكتبتُ رقم 15، أي أنني مكثتُ إلى الآن 15 يوماً، ظناً مني أنني سأخرج قريباً وما كنت أتوقع أن المدة ستطول وتطول؛

كنتُ وصديقاتي نخرج لمدة نصف ساعة إلى غرفة لها أربعة جدران عالية وفتحة سماوية صغيرة، كنا نبحث عن ضوء الشمس لنشعر أننا سنعود للحياة يوماً ما، كان القمل يملأ المهجع، والفتيات يقمن بتقسيم العمل إلى مجموعتين لتنظيف المهجع وتهوية الأغشية من أجل منع انتشار القمل، بعضهن اعتدنَ على الوضع، أنا لم أستطع الاعتياد، كنتُ أحلم بأن يُقرع الباب ويُنادوني باسمي، تحت أي ذريعة، حتى ولو كان من أجل التحقيق، فقط لأطمئن أنهم لم ينسوني هنا، بعض النساء قد مضى على اعتقالهن أكثر من ستة أشهر، و كنتُ أخاف أن أبقى نفس المدة، لا زال هذا الهاجس يدور في رأسي يورقني ويزيل النوم من عيني، وفي مهجعنا فتاة كانت تبصر لنا بطريقة مضحكة، تتوقع لنا أمورنا، كنت أقصدها للتسلية مع أنني لا أصدق الخرافات، وربما كنت كالغريق يتعلق بقشة، وكنا نخترع بعض الألعاب ليمضي الوقت؛

نساء في هولوكوست الأسود، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

في اليوم الخامس والعشرين عند الساعة الواحدة ليلاً، نُودي على اسمي مع مجموعة من الفتيات، لم يكن إفراجاً، فقط نقلونا من جديد إلى فرع مجهول جديد، وصلنا الأمن القومي عند الساعة الثانية ليلاً، والضابط المناوب هناك استقبلنا بغضب، لأن السيارة التي أفلتنا قد أفلقت منامه المبجل، خرج بسروره القصير، وصرخ فينا "أدرنّ وجوهكنّ يا حيوانات يا كذا وكذا" كانت في غرفته سجينة وكأنها تعمل معهم، طلب منها تفتيشنا، فنزعت أمامه شيئاً من الثياب عن البعض منا، ورحلة استجواب جديدة من الصفر بدأت، من أنتم؟ من أين أنتم؟ ماذا تفعلون؟ ثم وضعونا بزنزانة، كانت الصلاة ممنوعة منعاً باتاً، وكنتُ أصلي بعينيّ، المضحك المبكي أني رغم قسوة هذا الفرع كنت سعيدة أنهم يقدمون لنا المربي، وكنتُ ألتهمه بشراهة، فأقوي به جسدي النحيل؛

في اليوم الثالث نادوا على اسمي، ارتعبتُ، يا ترى إلى أين الآن! هل بقيت فروع أخرى لم يأخذوني إليها! ما كنا نعرفه عن دورة حياة المعتقلة يتوقف بعد فرع الدوريات، وفرع الخطيب وفرع الأمن القومي؛

نهضت معهم وأنا أرتجف خوفاً وقلقا، ومعى ثلاث بنات، كرر علينا العناصر ذات الأسئلة، وأجبت بذات الأجوبة، أعادوا تفتيشنا وخلعوا أغطية رؤوسنا، والألفاظ البذيئة والإهانة تنهال علينا كل وقت، ثم سلمونا الأمانات التي وضعناها سابقاً، ونقلونا إلى حافلة مع شبابين آخرين، الحافلة كلها شبك حديدي ولكنني كنتُ أستطيع أن أرى الناس والمارة، فهذا منهمكُ بحمل الأكياس، والآخر يحاول عبور الشارع، وتلك المرأة تمسك بيد ابنتها خوفاً عليها، إنها الحياة الطبيعية للبشر، تذكرتُ النساء المتواجدات في السجن، وتذكرتُ خوفهنَّ على أولادهنَّ، وتمنيتُ لو أنني لم أرَ ما رأيت، لا يشعر بالحرية أحد بقدر ما يشعر بها من يفقدها، وبين الحلم والواقع وصلنا إلى الشرطة العسكرية، عالم آخر، وعذاب جديد، والمحامون مع الناس ينظرون إلينا من الأعلى إلى الأسفل، بعض نظراتهم شفقة، وبعضها شماتة، وبعضها تعالٍ، وبعضها لم أستطع تفسيرها، ربما حتى أصحابها لا يعرفون تفسيرها، فهم عاجزون عن البوح لأنفسهم بمشاعرهم، أو أنهم يخدعون أنفسهم ليهربوا من ضمائرهم، تمنيت لو أستطيع التحدث مع أحدهم لأطلب منه أن يتواصل مع أهلي فأطمئنهم، ولكن هيهات! كلما توسلت لأحدهم بعيوني كي يقترب مني، أشاح بوجهه

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

عني، فاقدو الكرامة قطعاً فاقدون للشيمة والرجولة! أدركت ههنا أنني أقوى منهم جميعاً وأنني أعز منهم، أدركت أنني في قفصي أكثر حرية منهم؛

بدأوا بفتح الملفات من جديد، داروا بي بين الغرف لاستكمال الإجراءات، سألني أحد العساكر مستهزئاً: "هل تقبضين راتبك بالدولار! إن كان ذلك صحيحاً فسأترك عملي وأعمل معك"، لم أفهم ما قاله، ربما قد وضعوا لي تهمة جديدة، وهي التعامل بالدولار، كل شيء جائز عندهم، وبعد أن انتهوا، وضعونا في حافلة ضيقة مع مجموعة رجال، وهم حولنا لا نستطيع التكلم بشيء، فقط ننظر إلى عيون بعضنا، ونلهج في قلوبنا بالدعاء، أودعونا نحن النساء في قسم كفرسوسة، ولا أعرف إلى أين أخذوا الرجال، قالوا لنا إننا سنبقى لديهم مدة ثلاثة أيام، وأن الطعام والشراب يباع ههنا بأسعار مضاعفة، في هذا القسم وجدتُ المجرمين الحقيقيين (دعارة، سرقة، مخدرات، نصب، احتيال) لم يكن يخطر ببالي يوماً أنني سأوضع في صف هذه النماذج من البشر، كان المسؤولون عن القسم يأمرّون السجناء بالعمل والتنظيف داخل الزنزانة وخارجها، لم يوفروا أي عمل قط وأي مهمة متعبة إلا وقاموا بتسخيرنا بها دون رحمة أو

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمراً، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

شفقة، في اليوم الثالث وفي الليلة الثالثة علمت أن رمضان يهل في الغد، بكيت شوقاً إلى أهلي؛

نقلونا إلى سجن عدرا، ووضعونا في جناح الإرهاب، شاهدت عددا من النساء اللواتي كنّ معي في فرع الخطيب، منهن امرأة تدعى هناء خالد من الزبداني أعرفها جيداً، فرحت حينما علمت أن الاتصال الهاتفي ههنا مسموح، وحزنت حينما أدركت أن جزءاً من ذاكرتي قد تلاشى، نسيت أرقام هواتف أهلي، بكيت وأنا أحاول استنكار أي رقم لصديقاتي فلم أتذكر، قالوا لي إنني أستطيع أن أقدم طلباً للعقيد كي أحصل على رقم أهلي، ثم وبعد حين استرجعت رقم صديقتي، اتصلت بها على عجل فأخبرتني بأنها وأهلي على علمٍ بوضعي وهم قلقون عليّ جداً، بكيت لأجلهم، وبات همي معرفة الوقت الذي سأمكثه هنا، وكلما وجدت معتقلة طال بها السجن أسألها كم لك هنا، كنت أفزع حينما يكون الجواب سنوات؛

الحياة مع السجينات في عدرا صعبة بسبب تنوع تهمهن، معظمهن محكومات بدعارة أو سرقة أو قتل أو مخدرات، يختلف الحال عما كنا عليه خلال الاعتقال في الفروع الأمنية، فللمعتقالات قضية نبيلة

تجمعهن، ولأجل هذا فالتعاطف فيما بينهما كبير، هنا التمييز واضح في كل شيء، للمحكومين القدامى أو لمن يمتلكون المال أسرة ينامون عليها، وأحياناً يؤجرونها للسجينات، كان نوم الأرض من نصيبي، وكنا ننظف الغرف ونصطف عند الساعة العاشرة من كل يوم، موعد جولة العقيد والملازم، ومن تصلهم بحقها شكوى تعاقب بالضرب أمام الملاء، والبقية يعدن إلى مهاجعهن؛

بعد أيام ساقوني إلى المحكمة مع مجموعة نساء، دخلتُ إلى القاضي وبجانبه امرأة تكتب، استعطفت دونما جدوى القاضي، فأعادني إلى السجن، رويتُ لمن معي ما حدث وذكرتُ اسم القاضي، فطمئنوني أنه سيعيد استجابي من جديد وقد يخلي سبيلي؛

وأخيراً استطعتُ التواصل مع زوجي، حاولتُ تهدئي وزرع السكينة في قلبي وأن الأمور تجري على ما يرام، علمتُ لاحقاً أن عمتي قد أعطت زوجي مبلغاً من المال، كي يوكل محامياً للدفاع عني، كان يخبرني كل يوم أنه سيتم إخلاء سبيلي غداً، ويأتي الغد وأبقى كما أنا في السجن، كنتُ أنتظر هذا الغد بفارغ الصبر، أعد الأيام والساعات

والدقائق، هل سيكون اليوم! ربما غداً! رمضان أيام فضيلة، وسأخرج فيه لا محالة، هذا ما كنت أفكر به وأحلم؛

ثم كانت الصدمة بأنباء تردني أن زوجي لا يتابع شأني، حاولت التواصل معه مراراً ولكن ولا مجيب، تواصلت مع أختي لأعرف الحقيقة، وأعرف ما فعله بالمال الذي أخذه من عمتي؟ هل وكّل به محامياً من أجلي، كانت في كلامها تزرع في قلبي السكينة، طلبت مني أن أنسى المبلغ الذي أخذه زوجي، وأن أنساه، فهي من ستتابع أمري، وبالفعل وكلت لي محامياً، تدبرت وأهلي المال من أجلي وباشرت تراجع القاضي بشأني؛

التقيتُ بكثير من النساء، بعضهن بتن صديقات عزيزات، رقيقة ذات العشرين عاماً، وأم كرم المرأة الكبيرة الوقورة الحنونة، وممرضة الجناح هناء، ابنة بلودان، كانت بغاية اللطف معي، قدمت لي المساعدة واللباس النظيف عند وصولي المهجع، ثم وبعد فترة نقلوها إلى جناح آخر، أفجعني بعد فترة خبير موتها، التهاب شديد أصاب معدتها، وجعلها تتقيأ دماً، بسبب سوء العناية وإهمال السجن للعلاج توفيت هناء، الفتاة القوية التي طالما داوت الناس، صاحبة الكرامة

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

التي قاومت شبيحة النظام في بلودان ومنعتهم بصوتها العالي من التحرش بالنساء، وكان ذاك السبب الوحيد في حقدهم الذي أوصلها للسجن مع زوجها وأختها، لفقوا لهم تهم إرهاب متعددة وما من فعل لهم سوى تعاطفهم مع النازحين ودفاعهم عنهم؛

بقيتُ في سجن عدرا تسعة شهور، أمضيتها بحالة صحية سيئة، طبيب السجن كلما قصدته يعطيني فقط مسكناً، لم يخطر له أن يفحصني أو يعالج الالتهابات في أحشائي؛

استعنت بالله كي أستعيد حيوتي وأعود كما كنت فتاة مفعمة بالنشاط والمرح، لكن ورغم إرادتي تغيرت شخصيتي، وما زال يخالطني مع طبعي الفطري هشاشة وانكسار غيرتني كثيراً؛

عشت في المعتقل قصصاً كثيرة لبطلات بعضهن خرجن وبعضهن فُقدن، أتذكر ذلك اليوم السعيد الذي وضعت فيه سميرة مولودها، أتذكر ذلك اليوم الحزين الذي مرضت فيه الطفلة الرضيعة، ولم يلبّ السجانون طلب إسعافها إلا بعد فوات الأوان، أخذوها ساعة وعادوا بها إلى أمها جثة هامدة، لتضاف إلى جدران السجن اللعين حكاية جديدة تتكرر بشخصيات متعددة؛

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

وفي ذات يوم جاء الفرج، إنهم يذيعون اسمي لأن لديّ جلسة محكمة في الغد، شهور وأنا أترقب اسمي، وأحفظ خلال ذاك الأسماء المذاعة، وأعرف من بقي منهم ومن أخلي سبيله، وبالرغم من معرفتي بالمبلغ الكبير الذي دفعته أختي للقاضي، بقيت خائفة من تكرار ما جرى معي في الجلسة السابقة، هل يا ترى سيعيد التحقيق معي، أم سيفرج عني، أم سيحيلني إلى محكمة الجنايات مثلما حصل مع كثيرات من رفيقاتي؟ وعلى هذا لم أنم حتى الصباح، حيث تم اقتيادي إلى القاضي، الذي أصدر قراره بمنع محاكمتي لعدم كفاية الأدلة، وما من شيء قد تغير في أقوالي وإضبارتي سوى مبلغ المال الذي دفعه له أهلي؛

إنها الحرية، بعد قرابة عام مضى من عمري، تغير فيه عمري، تمنيت لو أنني أرقص وأغني لأعبر عن سعادتي، لكنها دموعي غلبتني، ولا أدري أهى دموع الفرح لخروجي، أم دموع الحزن على ما أصابني من قهر، أم هي دموع الخيبة، تقتلني، لخيانة زوجي، أم هي دموع الوداع لرفيقاتي في السجن، أحببتهن كأخواتي، لا أدري هل سيخرجن من بعدي؟ هل سأقابلهن أحراراً من جديد؟ استقبلني وأنا عائدة من المحكمة بحب وحسرة، شاركني بهجتي، وبقيت أتلقى

وصاياهن وأحفظ رسائلهن ليومين، حيث تم الاحتفاظ بي في عدرا أمانة، قبل أن ينقلوني إلى محكمة الريف، صباح أول يوم دوام، وأنا في الطريق أوزع مبلغ النقود - الذي تركته أختي عندي احتياطاً - على من أصادفهم، حلوان، والمحامي يرافقتي، حتى نظارة المحكمة المليئة بالقلم والحشرات، بقيت أنتظر فيها من الساعة العاشرة والنصف وحتى الرابعة عصراً، لم أرَ أختي التي كانت تنتظرني، حتى تم استدعائي إلى المحامي العام وأنا مكبلة اليدين، بدأت تجهش بالبكاء وأنا أمر من أمامها، ربما أقلقها شكلي وما آلت إليه حالتي، أدخلوني إلى المحامي العام، سألني عدة أسئلة، وقعتُ بعدها على الأوراق، سلمني هويتي والأمانات التي كانت بحوزتي، وأفرج عني، كان إحساساً مختلفاً ورائعاً، كأني ولدت من جديد، خرجتُ أنظر إلى السماء وأتمعتها، وأنا أحتضن أختي كل حين، تعانقتي فلا تتركني إلا لالتقاط صورٍ لي ترسلها إلى أهلي، غادرت وقد أخبرني المحامي أنني بالختم الموجود على الأوراق أستطيع عبور الحواجز، فقط مرةً واحدة؟

وصلت بيت أختي، شعرت بها تعيش أجمل يوم في حياتها، تغني وتهلّل وترقص كما لم أرها من قبل، سهرت بجواري حتى الصباح،

سألته عن زوجي، فأخبرتني أنه لم يتواصل معهم، لم يسألهم عني، وبعد أن استلم من عمتي النقود ليتصرف بها من أجلي غير رقم هاتفه وأخفى، أحسستُ مجدداً بالألام في بطني، في اليوم التالي ذهبت إلى الطبيب، فأخبرني أن مرارتي ملتهبة، وعليّ إجراء عملية مستعجلة، نجحت العملية، لكنني بقيت أتألم، ربما بسبب جسدي الهزيل، ولم أكن أعادر منزل أختي في حي الجديدة خوفاً من الحواجز، والتزاماً بتوجيهات المحامي العام، اتصلت بحماتي، أم زوجي فردت عليّ ببرود، وقالت إنها لا تعلم عنه شيئاً، كنتُ خائفةً جداً، لا أعادر بيت أختي، لا أستطيع التحرك ولا التنقل من مكان لآخر، كنتُ كلما نظرت في الشارع، دب الذعر في قلبي من مشهد العساكر يمر أحدهم بين حين وآخر؛

شهور جديدة مضت وأنا حبيسة البيت، ومخاطرة جديدة كان عليّ خوضها حينما سمعت أنهم قرروا مبادلة سكان كفريا والفوعة بسكان مضايا والزبداني، شاورت أهلي وأقاربي، ورغم صعوبة فراقني لأختي انتقلتُ إلى الشمال بحثاً عن الأمان، وهناك في إدلب وضعوني في مدرسة، ولم أكن أعرف أحداً، اتصلتُ عبر حساب الفيس بوك بأخ زوجي وكان يخدم في جيش النظام، أخبرني ببرود أن أخاه

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

طلقتي، شعرت بالإهانة، شعرت بالخيانة فصورته على الفيس بوك أمام شعار جبهة النصره كان سبباً في تعذيبي، وإذلالني، استجمعت قواي وهددته بأنني سأنتقم منه، وإذا كان قد طلقني حقاً فليسمعني كلمة الطلاق بصوته، بعد عدة دقائق تفاجأتُ باتصال من زوجي، وبكل احتيال يسألني: كيف حالك؟ هل خرجت؟ أين أنت الآن؟ شعرتُ بالقهر في قلبي، دون أن أبدي ضعفي، أجبتُه بأنني في إدلب، فما كان منه إلا أن يُكمل دناءته ويقول لي: لو كنت في دمشق، لكنك أتيتُ وأخذتك، لكن وكونك في ادلب فسوف أطلقك، صعقتني كلماته، شعرت بالظلم مرتين، وقد كنت قبل أن أسمعها من لسانه أكذب نفسي، ولا أصدق أنه فعلها، كيف ذاك وقد رضيت به شريكاً لحياتي وضحيت من أجله! استجمعتُ قواي وأخبرته دونما انكسار أنني اتواصل معه ليطلقني، فطلقني برسالة صوتية أرسلها، بكل بساطة، اكتشفتُ لاحقاً بأنه صرف في الملاهي النقود التي أخذها من عمتي ليوكل لي محامياً، لم يكن ذلك مستغرباً حينما انكشفت حقيقته، فقد التحق بجيش النظام، وأصبح أحد كبار الشبيحة في المنطقة، بعد التسوية والمصالحة، وعلى أغلب الظن وكما يؤكد من يعرفه أنه في الأساس كان مخبراً علينا، وبقي بيننا مزروعاً لصالح الأمن،

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

بمعرفتي الحقيقة ارتحت، فقد بات مفهوماً لدي حجم النذالة التي تجري في عروقه، وسعدت أني تخلصت منه؛

في إدلب بدأت وحيدةً في حياتي الجديدة، أتقل من بيت لبيت، وأعمل مع المنظمات، في أحد البيوت التي كنتُ أقطنها، عرض عليّ صاحبه المسن الزواج، مقابل أن يترك البيت لي من دون آجار، رفضتُ بشكل قاطع عرضه، بعد فترة أخبرتني زوجته بأن علي إخلاء الدار، بحجة أنهم سيعطون البيت لابنهم، وبعد بحث انتقلت إلى منزل آخر، أعود إلى جدرانه الصامته بعد يوم عمل طويل، تعينني تحدياته على تجاوز الوحدة والكأبة، تذكرت بيتنا الأنيس الدافئ في الزبداني، روعي فيه ما تزال معلقة، كأنه في سقفه يحنو عليّ، تفجر فيّ الشوق فاتصلت بأهلي، وأمي ما إن سمعت صوتي حتى عرفت محنتي فوعدتني أن تأتي من الكويت إليّ وتزورني؛

خبر قدوم أمي كان كافياً لسعادتي، بدأت أتجهز لحضورها، وأفكر بما سأحكيه لها من قصص، وبما سأتناوله من يدها، كم سأحتضنها وأقبل يديها وأبكي في حضنها، وأنا على هذي الحال لأسبوعين، اتصلت بي أختي واعلمتني خبر وفاة أمي، نزل الخطب علي

كالصاعقة وازدادت حالتي الصحية سوءاً، حتى زارتنى إحدى قريباتي وأجبرتني على السكن عندها، عاملتني وزوجها كابنة لهم، نذهب صباحاً إلى العمل ونعود مساءً نتجاذب أطراف الحديث، والشبان يطرقون بابنا بطلب يدي للزواج وأنا أرفض، إلى أن اقنعتني إحدى قريباتي بشاب يريد أن يتزوجني، وجدته رجلاً كريماً طيباً شهماً فوافقت رغم أن يده مبتورة بإصابة حرب، ومعه عشت حياة هادئة وحملت، لكن وفي شهري السابع وضعت ابنتي وهي بحالة صحية صعبة، أسعفها الأطباء عبر معبر باب الهوى إلى تركيا للعلاج، وعلى الطريق توفيت، مرة ثانية يحترق قلبي على أجنتي؛

أجريتُ تسع عمليات جراحية لالتصاقات في الرحم، وعند العملية العاشرة طلبتُ من الأطباء أن يتوقفوا لأنني لم أعد أحتمل، لقد كُتِبَ عليّ ألا أنجبَ وصُفِّتْ حالتي على أنها عقم ثانوي، فكرتُ بزوجي فمن حقه أن يكون له بنون، ولأنني لا أتحمل وجود زوجة ثانية في حياتي طلبت منه أن يتركني ويتزوج بغيري، لكنه رفض وقرر البقاء معي وعدم تركي، بقيت لأجله وأجلي أراجع الأطباء، أخبرني أحدهم أن الحل في الزرع، وهو في الداخل السوري المحرر صعب؛

أحدث نفسي بلا، "ليس صعباً، فالصعب عندي قد مضى، في رحمي
وطني، يشبهني، حمله مثلي ثقيل، وأنا مثله ولادة، وسأبقى، أنجب
الحياة من جديد"

القصة 3 - في ساحة التعري قتلوا باسل

مازال كابوس اعتقالي، حقيقة يومية أعيشها، ففي قريتي يسمونني
خريجة سجون، وقصتي حديثهم اليومي، بروايات اختلفوا فيها،
واتفقوا على ازدرائي، كثيراً ما أسمعوني تهماً مسيئة، واللطيف فيهم
من يكتفي بالابتعاد وأسرته عني، وما من جواب لدي سوى البكاء،
سئمت نظرات الشزر، فالتزمت البيت لا أغادره، ولا أدري إذا ما

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

كانت معاملة أهالي قريتي للمعتقلات تتشابه مع معاملة أبناء المناطق الأخرى؛

ابني يعاني من إصابة في رأسه، عمره ثلاثون عاماً، انشق بداية الثورة عن النظام، وذات يوم قَدِمَ عدد من شباب قريتنا إليه، يستنكرون مكوثه جانبي، بعد أن خرجت من المعتقل، يحثونه على قتلي ليغسل عاره؛

أجابهم "هذه أمي وأنا أفخر وأعتز بها، هي لم ترتكب خطأ، ولم تذهب إلى السجن بإرادتها"

بقينا سبعة شهور وابني على هذه الحال، يدافع عني، وكلما أسكت ألسنتهم الجارحة، لاحقوه بغمزهم ولمزهم، وحينما هجرنا النظام بالباصات الخضر من ريف حمص إلى الشمال السوري، اخترنا سراقب لنسكن فيها، فلا نرى من أهل قريتنا أحداً، حتى أرغمتنا شدة القصف على نزوح جديد إلى قرى عفرين، وقصتي تلاحقتي، في إشارات ساكنيها، ونظراتهم المشابهة لما شهدته في قريتي، ولداي مازالا يعانيان ويتحملان رفض المجتمع لي، حتى تعبنا وقررنا بعد ثلاث سنوات مغادرة المنطقة هرباً من كلام الناس، حاولا جاهدين

أخذنا معهما، ناقشتهما أن قدرتي في كل مكان يلاحقتي، ورجوتهما أن يرحلا وحدهما، ليشقا طريقهما وقلبي عليهما راضٍ؛

بقيت وبناتي الصغيرتان وحدنا، أصرف عليهما من عملي في الخياطة على ماكينتي اليدوية، وإن زاد شيء اشتري به أدويتي، لعلاج أمراضٍ تلازمني من أثر التعذيب في المعتقل، أحافظ بصعوبة على دراسة بناتي، وصلت الصغرى الآن الصف الرابع، وأختها أمل في الصف العاشر، لا تريد أن تتزوج باكراً خلاف أختيها الكبيرتين اللتين تزوجتا منذ سنوات طويلة، تكرر لي قولها "أنت تاج راسي، أنا أفتخر بك يا أمي، أنا لا أبالي بكلام الناس، وسأكمل دراستي وأصبح محامية، وأخذ لك جميع حقوقك" شخصيتها قوية، ذات يوم ضربت رجلاً في الحي لأنه أزعجني، تفهم ظرفي المالي وتزهد فيما يطلبه البنات، تقويني حينما أضعف فلا أخاف عليها، بقدر ما أخاف على الصغرى، تتنادي أختها الكبير أبي، لا تتذكر أباه، وصعب عليها أن تفهم سبب تركه لنا؟ صعب عليها أني أعجز عن شراء بسكوته تأخذها مثل رفيقاتها إلى المدرسة، وأنى أعجز عن ثمن حذاء جديد لها، كلما ضاق القديم عليها؛

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

فيما مضى كنت أعيش مع زوجي وأولادي حياة عادية، وأعمل في مشفى البر بمدينة حمص، حينما اندلعت الثورة تطوعت سراً مع الثوار للعمل في مشفى الوليد، الذي كان يتعاطف مع المصابين فيسعفهم، ويوم قصف النظام الجزيرة السابعة في حي الوعر، جلبوا الكثير من الجرحى إلى مشفى الوليد، حتى نفذت فيه المعقمات والشاش الطبي وبعض اللوازم، فحدثني الدكتور عبيدة قائلاً "سارة، أنت تعملين معي في مشفى آخر، من أجل الأطفال الجرحى الذين أمامك، ساعديني لنحضر شاشاً ومعقماً من مشفى البر"

خفت في البداية وأجبتة أن هذا عمل صعب علي، فقال "سأكون منوياً معك في مشفى البر، وعندما توزعين وجبات العشاء سأكون بانتظارك، مريّ عليّ وأخبرك عندها"

وعندما مررت إليه قال لي "أنا أمّنتُ الكمية المطلوبة من مواد الإسعاف الضرورية، عندما يحلّ الليل ستأخذينها وتذهبين بها"

في تمام الساعة الثانية عشرة ليلاً حان موعدي، فأخرجت بعض أكياس القمامة، ومعها أخرجت الكيس المطلوب، وعند حاوية القمامة

التقيت بالشاب الذي تواعد معه الطبيب، تناول مني الشاب كيس
المواد وأوصله إلى مشفى الوليد؛

كررت ذات العمل بشكل يومي لأسبوع، وكانت قد لاحظتني امرأة
علوية تعمل في المشفى،

سألتني: أين كنت في هذا الوقت، والساعة بلغت الثانية عشرة ليلاً؟
قلت: كنت أجلب فطيرة من الدكان.

قالت: ومن أين الفطائر في هذه الساعة المتأخرة!؟

فتحت الكيس وأريتها بداخله ثلاثة فطائر (كنت قد أخذت حذري
واشتريتها من قبل وحملتها معي عندما خرجت - كما أوصاني
الدكتور عبيدة - كي تكون حجتي مقنعة إذا ما سألني أحد عن سبب
خروجي)

قالت لي: الساعة الثانية عشرة ليلاً وأنت مسؤولة عن توزيع وجبة
العشاء، لماذا لم تأكلي من طعام المشفى؟

قلت: لم أأثته طعام المشفى، اشتريت الفطائر فذهبت واشتريتها.

مرت الحادثة بشكل عادي، ورغم شكها لا أتوقع أنها كشفتني، لكني أخذت حذري وتوقفت عن نقل المواد، وبعد أيام قبضت راتبي عن شهر كانون 2016، وذهبت كعادتي إلى الريف حيث يسكن أولادي لأعطيهم المال، وفي طريق الذهاب عند حاجز البحوث، طلبوا هويتي، وفاجأوني بأني مطلوبة، أخذوني إلى فرع الأمن العسكري بحماة، وحققوا معي هناك، استغرق اعتقال شهرين ونيف، أخرجني بعدها أولادي بمبلغ من المال أعطاه لهم الدكتور عبيدة؛

توقعت أن أجد زوجي في استقبالي، وحينما سألت أولادي عنه، تأخروا في مصارحتي حتى عرفت أنه طلقني، وسبب ذلك أنني بعد اعتقال أصبحت كما يقول عاراً عليه، وهو لا يرضى بالعار، قصدت إخواني وأخواتي فوجدت بعضهم على ذات الموقف، وبعضهم لا حيلة ولا قوة لهم؛

مكثت عشرين يوماً مع أولادي في بيتهم الذي هجره زوجي، وعدت بعدها إلى حمص حيث عملي، وبقيت أتنقل بسلام من خلال ورقة كف بحث مختومة أعطوني إياها عند الإفراج عني، كنت أظهرها لحواجز النظام فأمرُ بشكل طبيعي، وكان ذلك أثار شك البعض،

فاعتقلنتني مجموعة مسلحة يرأسها أبو شعبان، تزعم انتسابها للجيش الحر، عصبوا عيني وخلعوا حجابي، وجروني في الشارع إلى مقرهم، اتهموني أنني أسرب مواقعهم للنظام، شرحت لهم عملي فلم يصدقوني، ولولا معرفة الدكتور عبيدة بأمرني وتواصله معهم من أجلي لكانوا قتلوني، تبيينوا خطأهم وأوصلوني إلى مشفى الوليد حيث وجدت الدكتور عبيدة والأطباء بانتظاري، كنت أبكي من الألم بسبب الضرب الذي ضربوه لي على قدمي، والأطباء يهونون الأمر علي ويعتذرون مني، دكتور عبيدة قال نحن لا نتخلى عنك، ونحتاجك؛

كنت قد توقفت بعد اعتقالني من قبل النظام عن المساعدة بتأمين مواد الإسعاف إلى مشفى الوليد، وعن أي مساعدة لإسعاف المصابين، كنت على قناعة أنني خسرت كثيراً وعليّ أن أحمي نفسي، وفي يوم قصف فيه النظام بالفوسفور منطقتين في حمص، الجزيرة السابعة والجزيرة الرابعة، وكنت بتلك الساعات في عملي بمشفى البر، سمعت حواراً بين عدد من أطبائه الموالين للنظام؛

يقول الأول " إن شظايا قذيفة الفوسفور تدخل في جسم الجرحى وتستمر بحرق الخلايا بدون توقف"

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمراً، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

يرد الثاني " لو كان عندهم أطباء مختصون لوضعوا عند موضع دخول الشظية تراباً أو بودرة طبية أو طحيناً، وهذا كفيل بوقف حرق الشظية للجسم "

لم أتمالك نفسي، ولا أعرف كيف خرجت بلهفة إلى مشفى الوليد القريب مني، المسافة بين المشفيين لا تتجاوز 250 متراً، نسيت نفسي وأنا أركض بلباس مشفى البر والساعة قد بلغت الحادية عشرة ليلاً، وبمجرد وصولي حدثت الطبيب بما سمعت، لم يصدقني في البداية قال مستحيل، أخبرته باسم الطبيب الذي تحدث بذلك، فقال "نحرب" وأخذ حفنة من تراب كان في حوض غرسة صغيرة، ووضعه على موضع الشظية التي اخترقت جسم طفلة قابعة في الإسعاف، وفعلاً توقفت الشظية عن السريان؛

التفت إليّ بفرح قائلاً "عودي بسرعة يا سارة قبل أن يلاحظوا غيابك" عدتُ مسرعة فوجدت ذات المرأة العلوية تقف عند الباب، كأنها منذ مدة تراقبني، سألتني "أين كنت؟"

قلت "خرجت لرمي القمامة وعدت فوراً"

قالت "الكناك لم تنتهي من جمعها، فالقمامة تملأ المشفى"

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

قلت "أعلم ذلك، خرجت بالقسم الذي استطعت حمله وسأجمع الباقي"
تأكدت أنها تشك بي، وحرصت في الأيام التالية على عدم الخروج
من المشفى، ولما مرت ثلاثة شهور لم يتعرض لي فيها أحد
اطمأننت، وعزمت على زيارة أولادي في القرية، تحركت على
الطريق المعتاد من حمص إلى حماة إلى منطقة تقسيس، لأركب منها
بقارب صغير يوصلنا خلال ثلاث ساعات إلى قرينتنا، أول حمص
المدينة وعلى حاجز ديك الجن فتنشونا وأخذوا هوياتنا ولم
يعترضوني، شعرت حينها بالأمان، لكن هيهات لنا به في هذا الوطن،
فعند حاجز تقسيس قالوا: انزلي أنت مطلوبة.

حاولت أن أشرح لهم أن في الأمر خطأ، قلت "كنت مطلوبة، ثم
حصلت على كف بحث" وأظهرت لهم الورقة؛

قال: لا، أنت الآن مطلوبة.

قادوني إلى نفس الفرع في حماة، اعتقلوني فيه أربعة أيام، ثم أخذوني
إلى مكان آخر يسمى "الأمانات" بقيت فيه قرابة خمسة عشر يوماً،
ومنه أخذوني إلى قسم آخر لم أستطع معرفته لأنني معصوبة العينين؛

أجلسوني على كرسيّ حديديّ، وثبتوا جسدي عليه بحبل لفوه حولي، وربطوا يداي إلى الخلف، أخذوا يبللون قدمي بالماء ثم يضربوني عليهما بالإبراهيمي (وهو أنبوب حديدي ملفوف ببلاستيك أخضر، أطلق عليه ضباط الأمن اسم الإبراهيمي استهتاراً بجهود الأمم المتحدة ومبعوثها الأسبق الأخضر الإبراهيمي) استمروا بضربي طويلاً وهم يسألون: أين الإرهابيون؟ ماذا تأخذين لهم؟ وكيف تساعدينهم؟ ومن أين يُدخلون السلاح؟ وأنا أكرر جوابي: أنا لا أعرف أحداً، أنا أعيش في المشفى بحمص ولا أعرف أحداً خارجها. قالوا: أنت تساعدين الإرهابيين في المشفى.

قلت: مستحيل، أنا لا أساعد أحداً.

تطول جلسات التعذيب بين ساعة واثنين، وتكرر حوالي خمس مرات في اليوم الواحد، وبين كل جلسة وجلسة يطلب مني الضابط أسماء الشباب الذين يعملون مع الثورة في المشفى، يقول: إذا أخبرتنا بهم سنتركك، وأنا أرد عليه أنني لا أعرف أحداً، فلم أكن أصدقه؛

جلبوا شريطاً كهربائياً يحمل برأسه مكواة تشبه المسامير، يسخنونها ويكونون بها جسدي، ما تزال آثارها على رجلي اليسرى وعلى يديّ

الاثنتين، تذكرت مشاهد المعتقلين الموتى وكنت قد رأيتها مرة في المشفى الوطني بحمص، فشعرت أن الموت محقق وقلت في نفسي ما دمت ميتة في الحالتين فلن أعطيهم أيّة معلومة عن أي شخص؛

حياتي الريفية الصعبة وقوة بدني جعلتني أتحمّل أكثر، وكأنهم بعد أسبوع ملوا مني فأعادوني إلى غرفة المعتقل، البنات المعتقلات اللواتي في غرفتي أخذن يُقَطَّعن من ملابسهن الداخلية قطعاً قطعاً ويلفون بها الحروق التي توزعت على جسدي، لكن وبسبب انعدام الأدوية تجرثمت، واستمرت معي حتى الآن ما يسميها الأطباء جرثومة فيروسية؛

في كل مساء يُخرجون بعضنا أو كلنا إلى الساحة، يسمونها ساحة التعري، شهدتها شهر أيار 2017، وفي إحدى لياليه أجلسونا على الأرض، معتقلات ومعتقلين، وجرّوا ثلاثة من الفتيات العذارى إلى وسط الساحة، وهم يضربونهن وينزعون عنهن ثيابهن، حتى أصبحن عاريات بشكل كامل، تقدم ضابط يدعى حسن نحوهن، خلع أولاً سترته العسكرية التي تحمل رتباً على الكتفين، وسحب أصغرهن، بنت الثمانية عشر ربيعاً، وباشر الاعتداء عليها وهو يصرخ فينا

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

بألفاظ بذئية إنه يفقدها عذريتها، المعتقلون الشباب معنا في الساحة كانوا ثلاثة، من القرى المجاورة لنا في المنطقة، اثنان من بيت الخليل، والثالث بطل مجهول اسمه باسل هر موش، زار بصوته فيهم، وجرَّ نفسه نحو الضابط ليضربه والقيود تتقل من حركته، فاضت روح باسل بعد أن أطلق المساعد محمد شقِيف النار عليه، ولم يبالوا، تابعوا اغتصاب باقي الصبايا أمام أعيننا كالوحوش، بل الوحوش أرحم؛

البنات يصرخن ويتمنين الموت، الشبان المعتقلون انكبوا على باسل المضرج بدمائه وهم يبكون من القهر، اقترب العناصر منهم وأخذوا يضربونهم بشدة، ويجرونهم إلى زنزانتهم؛

وفي أكثر من مرة وبعد أن يجلس الضابط جميل في الساحة يُجردون الشبان والفتيات من جميع ثيابهم، ويطلبون بالإجبار من الشبان الاعتداء عليهن، وحينما يرفضون، ينهالون عليهم ضرباً ويستدعون العناصر لاغتصاب الجميع؛

يتكرر إخراجنا إلى الساحة، ونحن كبيرات السن يجبروننا على التعري وهم يضربوننا، فقط لإذلالنا، وليكملوا طقوس ساديتهم وهم

يغتصبون الفتيات أماناً، منهن عفراء، إحدى البنات التي تمّ اغتصابها، دخلت إلى حمام غرفة المعتقل وهي تبكي وتصرخ وتقول "يا خالتي أريد أنظّف جسمي من وسخهم، لا أدري كيف أنظّف نفسي، لقد كرهت نفسي، رائحتهم لا تفارق جسدي" وأنا أخفف عنها "يا روجي يا عيني هذا ليس بيدك تحمّلي واصبري، ليس ذنبك، ربّك يغفر لك" وهي في كل مرة يغتصبونها تعود على هذا الحال، تصرخ وتلطم وتبكي وتدخل المرحاض لتستحم، وذات مرة تأخرت فيه، فدخلنا عليها لنجد عفراء - شبه الملاك في وجهها - مستلقية على الأرض تنزف، لقد قطعت شريان يدها، وماتت؛

شهدت في ذات المعتقل إنجاب نبيلة ولدأ، لم أسألها عن أبيه، وكنت قد دخلت المعتقل وهي من قبلي فيه حامل، لا أدري إذا ما كانت قد حملت به من اغتصابهم المتكرر، أم أن لها قصة أخرى، في مخاضها به لم يلبوا صراخها لإسعافها، وإلى أن ولدناها تعبت كثيراً، ربطت أنا الحبل السري وخلصت لها المشيمة، وحينما استفاقت انتبهنا لها تريد أن تقتل ولدها، فمنعناها، أكثر ما يحزنني أنها تركت عندي أمانة، ضيعتها، فحينما خرجت كتبت على قطعة صابون رقماً

لأهلها، وطلبت مني التواصل معهم من خلاله، وأنا فقدت الرقم، ولا
أسامح نفسي؛

أتذكر شابين من حماة محمد وأحمد الخليل، أولاد عم، أخرجونا ذات
مرة لنشهد تعذيبهما فنخاف ونعترف، وتحت الضرب المبرح
والتعذيب الشديد مات أحدهما، كأنهم تعمدوا ذلك، الآخر حينما أدرك
أن ابن عمه قد مات، فقد صوابه وبدأ يصرخ في وجوههم، يسبهم
ويشتهم، وبينما هم ينهالون عليه ضرباً، يزيد هو في شتمهم حتى
أغمي عليه، جمال من الساحل وأبو حيدر وعلي الناصر وأبوعلي
وحسن حنين كانوا يتفنون في تعذيبنا، ومع كل صباح يحملون
الموتى في سيارة، لا ندري إلى أين؟

مرت الأيام وكنت أظن أنهم قد أنهوا التحقيق معي، حتى نادوا باسمي
من على باب الغرفة، عصبوا عيناى وأخذوني إلى أحد المكاتب،
نزعوا العصابة عني وقالوا لي: ألن تعترفي؟ قلت: ليس عندي ما
أعترف به، وما إن انتهيت من كلماتي حتى صفعني بقوة شخص ذو
جثة ضخمة يدعى يوسف حبيب حمود ويكنى أبو حيدر، قلت له:
لماذا تضربني؟ قال: لأنك كذا وكذا، ولو كنت محترمة لقلت

لنا أين هم الإرهابيون، ماذا يفعلون، من أين يدخلون السلاح إلى مناطقكم؟

قلت: لا أعرف شيئاً عنهم؟

فاقترب مني ورفع رأسي للأعلى بيده، ثم أغلق أنفي بأصابعه، ففتحت فمي لأتنفس، فأدخل كماشة فيه وقلع أحد أسناني العلوية، صرخت بأعلى صوتي من شدة الألم، طلب منه المحقق أن يتوقف قائلاً "اتركها الآن ستعترف" قلت والدم يخرج من فمي، لا أعرف شيئاً؟ فأشار المحقق لأبو حيدر أن يستمر، رفع رأسي مرة ثانية، ويدي مكبلتان خلف ظهري، كرر ذات الحركات، وقلع ثلاثة من أسناني السفلى، فقدت وعيي، ولم أصح إلا وأنا في المشفى العسكري بحماة، كيس "السيريوم" معلقٌ بيدي، وأحد العساكر يحرس باب الغرفة التي وضعوني فيها، بقيت ثلاثة أيام على هذه الحال في المشفى، بعد أن استقرت حالتي اصطحبوني داخل سيارة تشبه البراد إلى السجن، وفور وصولي أدخلوني إلى المحقق؛

قال لي: يا سارة أئن تعترفي؟

قلت: ليس عندي ما أعترف به

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

قال: سنعطيك اقتراحاً إما أن تقبلي به وتخرجي وإما ستبقين حتى تنسين هنا في السجن.

قلت: "أنا جاهزة لما تريدون، لكن أنتم تسألونني عن شبابٍ لا أعرف عنهم شيئاً، أنا عندي خدمة في مشفى حمص مدة اثنتين وعشرين سنة، وقضيت عمري فيه، ولا أعرف شيئاً عن شباب قريتي"

قال لي: "سأطلب منك شيئاً، تنفذيته، أو تتعفين هنا"
قلت: تفضل سيدي.

قال لي: "ما رأيك بأن أعطيك هوية أمنية! تمرين بواسطتها من أي حاجز تريدين، وأيضاً مبلغاً شهرياً من المال، خمسين ألف ليرة، مقابل أن تأتي إلينا كلّ خمسة عشر يوماً وتعطينا الأخبار، تخبرينا عما يفعلونه عندكم في القرية، وما يفعلونه عندكم في المشفى، وأي شيء تلاحظينه تأتئين لتبلغينا به، ونعطيك فوق المبلغ خمسة وعشرين ألف ليرة، اختاري وقرري، ونحن جاهزون لما تريدين"

سرحت قليلاً وفكرت ثم قلت: "نعم أوافق"

نادى العساكر فأخذوني إلى غرفة مجاورة، أوقفوني وصوروني
وبصموني، ثم بعد أربع ساعات قضيتها في غرفة الاعتقال نادوا
علي، فقال لي: هذه هويتك جاهزة، الوقت الآن قد تأخر، غداً صباحاً
ستخرجين يا أمي – صرت الآن أمه - وتعاملينا كما عاملناك.

قلت له: تكرم يا سيدي، فبعدما رأيت الهوية باسمي، صار عندي أمل
بالخروج؛

في صباح اليوم التالي بين التاسعة أو العاشرة، أرسل في طلبي
فأخذوني إلى الأمانات وسلموني أغراضي الشخصية التي كانت معي
كما سلموني الهوية الأمنية وورقة كف بحث، وأعطوني مبلغ خمسة
عشر ألف ليرة؛

خرجت وفي داخلي خوف من التفكير، أجلته حتى أصل أولادي، ما
كنت واثقة منه أنني لا أخون، ولا أعرف كيف أخدعهم، في طريقي
باتجاه قريتي وعند أحد الحواجز سمعت العنصر يقول إنها مطلوبة،
أريته الهوية الأمنية، فأشار له رئيسه بالألا يوقفني ويتركني أكمل
طريقي، فقال لي: اذهبي يا خالة الله معك؛

وبعد أن قطعت المعبر الذي يدخلني إلى قريتي وجدت أولادي في انتظاري عند الجانب الآخر، كانوا فرحين بخروحي بسلام، أخذوني في أحضانهم، وأنا أفكر بما طلبوه في الفرع مني، قلت لنفسي تحملت كل شيء لكني لن أتحمّل الخيانة، وبُحت لأولادي السر في تركهم لي، تناول ولدي الكبير الهوية والنقود وأشعل فيها النار، طلبت منه أن يترك لي المال فنحن بحاجة، أجابني: "لا نريد منهم شيئاً يا أمي" حضنت ولدي، وانفقت معه ألا أعود إلى حمص، تركت عملي في مشفوي البر والوليد، وانقطعت علاقتي مع من فيهما، حتى فجعت من جديد بأختي، وكانت لاتزال هناك، عاملة نظافة في المشفى، اعتقلوها من بيتها بعد خروجي بعام، وزوجها وأهله أمضوا ثلاث سنين يبحثون دونما جدوى عنها؛

أفكر فيها دوماً، وأتمنى أن تكون مينة، فلا تتعرض لما تعرضت له مع البنات في المعتقل، ولا تخرج فتجد مثلي بعضاً من أهلنا يتعاطفون من بعيد معنا، وبعضهم لم يكونوا أحسن حالاً في تفكيرهم من أبناء قريتنا، أتذكر زوجي فأشك في نفسي أحياناً وأسأل، هل حقاً أنا عار؟ إن لم أك عاراً، فهل يستحق الثمن كل هذا؟ أتذكر باسل

وعفراء ونبيلة وأسأل عمن يستحقون كل هذي التضحيات، أتذكر نفسي، بسبب حبي للناس ومساعدتي لهم، بسبب حلم الكرامة الذي عشته لأجلهم، اعتقلني النظام مرتين، خرجت في الأولى مقابل المال، وفي الثانية مقابل الخيانة؛

القصة 4 - سفرة الطعام الشهية تكسر خاطري

ما بين درعا التي أنحدر منها وأقطنها مع زوجي وأولادي، والغوطة التي يسكنها أهلي، شاركت مع أبناء بلدي في المظاهرات السلمية، طلابي الصغار في المدرسة سبقوني إليها، حتى بثُّ في عقدي الرابع تلميذة لديهم، لم يكن نشاطي واضحاً مثل أخواني المعارضين للنظام منذ زمن، والمطلوبين له بسبب انخراطهم الكامل في الثورة، الأمر الذي دعاهم لتحذيري من المرور على الحواجز، ومن مغادرتي المنطقة، حينما أخبرتهم نيتي السفر إلى السويداء للعلاج، بعدما قصفت عيادة طبيبي الذي غادر بعد ذلك درعا إلى مصر، وليس في حوران غيره مختص مفاصل وأمراض رثية؛

تشجعت على الذهاب إلى هناك بسبب معرفتي أن الذي يدير السويداء حقيقةً هم لجان من المدينة، وهذه اللجان لا تهتم للمطوبين للنظام، يهمهم ألا يحمل الشخص الداخل إلى المدينة أي سلاح، وخاصة أن الكثير من أهالي المنطقة – وبعضهم مطلوبون للنظام - يذهبون بشكل متكرر إلى السويداء ويعودون دونما مشاكل؛

وبالفعل، في 18 / 10 / 2014 ذهبت وابنة عمي رنا إلى السويداء لمراجعة طبيب الرثية هناك، و لتراجع هي طبيب عيون، في طريق الذهاب لم يتعرض لنا أحد، كانت الحواجز من اللجان الشعبية، وكنت بسبب خوفاً من النظام قد أخذت معي احتياطاً هوية حنان، ابنة جيراننا التي تشبهني، وضعتها في حقبتي لأستخدمها في العبور إذا ما صادفنا حاجزاً للنظام، وهويتي حملتها من أجل شراء شريحة موبايل، وخبأتها داخل ملابسني، أردت أيضاً خلال السفر إصلاح هاتفي المعطل، أخبرني المصلح لاحقاً أنه غير قابل للإصلاح، فحزنت على صور العائلة التي فيه، وما كنت أعلم أن ذلك خير لي؛ وفيما كنا ننتظر نتيجة التحاليل التي طلبها مني الطبيب، قررت ابنة عمي أن تفرح زوجها - المنشق عن النظام - بكروز دخان اشترته

لأجله، تأخرنا قليلاً، ثم وفي الواحدة ظهراً تحرك بنا باص العودة على ذات طريق القდوم، والمفاجأة المرعبة أننا على حاجز النقل وجدنا دورية متنقلة للمخابرات الجوية التابعة للأسد، لم يكن ذلك اعتيادياً لكن وعلى ما يبدو أن خلافاتهم مع الشيخ البلعوص / رجل المقاومة في مدينة السويداء، دعاهم لإرسال حواجز مؤقتة يسمونها طيارة، كان ذاك بالقرب من قرية "الشقراوية" وما أن وقف الباص وفتح العسكري الباب، حتى بادرنى وابنة عمى بطلب هوياتنا، واضح أن الحجاب على رؤوسنا لفت انتباهه، فالنساء في السويداء غالباً سفور، تقدم نحونا وعيونه على كروز الدخان في يد ابنة عمى، سألها لمن هذه، ومن أين أنتم؟

قالت: نحن من قرية اسمها "صور" في درعا.

صرخ في وجهها: أنت تحملين الدخان للإرهابيين!

وطلب من الجميع النزول من الحافلة الصغيرة، فنتشوها كلها، كان الناس يحملون جرات غاز وأكياس مؤونة، سكر ومواد غذائية، أمسك بحقيبة كنتفي يتحسسها، لاحظ علب الدواء، أخذها منى وفتشها،

عثر على هويتي الأصلية داخل ظرف شريحة الهاتف التي اشتريتها،
ونظر إليّ نظرة لا أنساها؛

وسألني: من أنت يا مدام، حنان أم سمية؟

أجبت بهلع: أنا، أنا سمية

قال: بما أنك سمية، لم أعطيتني هوية حنان؟ ولم تحملي هويتين؟

فقلت: أعطيتك الهوية عن طريق الخطأ، وكنت أحمل هوية أخرى
لأن صاحبها أعطتني هويتها لأشتري لها شريحة موبايل، وأنا
أخطأت وأعطيتك هويتها بدل هويتي.

قال: حسناً، حسناً سنرى بعد قليل.

جمع هويات باقي الركاب وذهب حيث الدورية وفيها قرابة عشرة
عناصر، ثم عاد يأمرني بالبقاء عندهم ويأمر السائق أن يكمل طريقه
مع باقي الركاب، ناقشته ورجوته أن يخبرني عن سبب بقائي
وأخبرته أنني أخطأت بالهوية، نهرني لأصمت، وأنزلي قائلاً لابنة
عمي: رنا الأحمد أنت أيضاً ابق.

نظرت رنا إليه ونظرت إليّ أيضاً وقالت: أنا لا دخل لي.

فقال: أنتما الاثنتان ستبقيان، وأشار بيده لسائق الحافلة كي يتحرك.
بكينا وانهارت أعصابنا وأخذنا نرجوه أن يتركنا، لم يعرنا أيّ انتباه،
لم يلتفت إلينا وهو يسير إلى غرفة مجاورة ونحن نمشي ونبكي
وراءه، حتى أوقفنا العساكر ببندقياتهم ووجهوها صوبنا، بقينا نبكي
ونصرخ خارجاً وننظر إلى الحافلة وهي تغادر، أتى إلينا عنصر
آخر وطلب منا الصعود إلى الصندوق الخلفي لأحد السيارات
العسكرية وإلا سيقوم بوضعنا هو فيها، سعدنا ونحن كنا نبكي
ونصرخ، وما زال لدينا أمل أنهم سيتركوننا بعد ساعة أو ساعتين،
فقد فعلوا هذا مع نساء أخريات من قبل بقصد الإرهاب والتخويف،
كنا نبكي ونفكر في أهلنا وأزواجنا، وما ينتظرنا من عتب ولوم بسبب
تأخرنا، ومن جهة أخرى كنا خائفات من العساكر وما سيفعلونه بنا،
لم يخطر في بالنا أنهم سوف يعقلوننا، ذلك أننا لم نفعل شيئاً، وبقينا
نبحث ونحن على الصندوق في وجوه الناس المارة بسياراتهم - وهم
يُوقِفون على الحاجز - عمن ينجدنا، أنزلوا من إحدى الحافلات
امرأتين كبيرتين السن، من بصرى الحرير، وضعهما معنا في
الصندوق، حاولتا التخفيف عنا، أتذكر كلمات إحداهن: مالكن يا بنات
ما لكن وجدن الله، استعربنا قوتهما، ونحن نكاد نموت هلعاً، وهما

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

انشغلنا بنا عن حاليهما تهدئان من روعنا حتى الساعة الرابعة عصراً تقريباً، حيث أغلقوا علينا الباب وانطلقت السيارات، فانهارت أعصابنا، وصلنا إلى فرع المخابرات الجوية في السويداء، وعبثاً أحاول استذكار تلك اللحظات، أسماء المحققين، أشكالهم، المبنى، المهجع الذي كنت فيه، من أين دخلت أو خرجت، من معي في المهجع، أين أنا، وكل التفاصيل المتعلقة بالساعات الأولى لا أعياها من هول الصدمة التي عشتها، فقط كلمات المحقق الأخيرة "سمية الأحمد فرع فلسطين" ملقياً ملفاً بلون أزرق نيلي على الطاولة، ومحدثاً شخصاً آخر أن يكمله؛

وأنا فقدت الوعي، لم أصح إلا في المهجع على النساء المعتقلات يوظنني، لا أتذكر وجوههن حتى إن إحداهن من قرיתי – كما علمت لاحقاً - خرجت قبلي وأخبرت أهلي بما حصل لي، لكني لا أتذكرها أبداً، أتذكر بعد حين رنا ابنة عمي تواسيني، كانت تظن أنها ستبقى ولن تقاد معي إلى فرع فلسطين، وأنا مثلها اعتقدت ذلك، أتذكر وقت رحلونا كيف أغلقوا أعيننا بعصابة، ووضعوا الأصفاد في أيدينا، وضعونا في السيارة، ، كان جميع من في السيارة يبكي بصوت أنين منخفض، لا نستطيع رفع أصواتنا كيلا يضربوننا، عرفتها من

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

صوت بكائها، ناديت "رنا"؟ فردت "سمية"!، ارتفع بالنعيب صوتانا معاً، صرخ العناصر بنا وضربتني امرأة شرطية وهي تشتمني، حزنت وفرحت في نفس الوقت، شعرت بالقهر لأن ابنة عمي ستذهب إلى فرع فلسطين وفرحت لأنها ستكون معي؛

وما أن وصلنا حتى هالني العدد، وشعرت أن نساء سوريا جميعهن في فرع فلسطين معتقلات، بنات صغار في العمر، نساء حوامل، نساء مُرضعات، وأخريات معهن أطفال صغار، حتى هان من هول ما رأيت عذابي، وأنا أتألم لأجلهن، صبايا صغيرات جميلات في مثل عمر بناتي، بعضهن في المدرسة، وبعضهن في الجامعة، واحدة مخطوبة، وأخريات معهن أطفالهن الصغار، بدأت أعود لوعيي وأصحو من الحال الذي كنت عليه في فرع السويداء، شعرت والنساء من حولي أنني لست وحدي، وبدأت أتعاش مع وضعي؛

فرع فلسطين سيء جداً، المهجع مليء بالشعر والدم والقيح والسواد، الحيطان قدرة، تكسوها طبقة لزجة من خليط مختلف من القذارات لدرجة أنني لم أستطع أن أتكى على الحائط، الأرضية مقرفة ذات لون بني من تراكم الأوساخ، حشرات وقمل تمشي على الحيطان،

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

حشرات وفئران يُسمع صوتها في كل مكان، قذارة تقشعر لها الأبدان، ورائحته كريهة من شدة الرطوبة والعفونة، والشيبكات اللواتي في فرع فلسطين حاقدات ويعاملننا بلؤم؛

مهاجعنا تتموضع على جانبي ممر طويل، بنهايته ضوء خافت، وبقيته ظلام، ونحن خلف باب مصنوع من الحديد المحكم، بالكاد نرى بعضنا، فلا نور أو تهوية لدينا، الأبواب مصنوعة من الحديد الأسود، وفيها نافذة صغيرة يعطوننا منها الطعام، وكل ثلاثة أو أربعة أو خمسة أيام يسمحون لنا بالخروج تحت الشمس إلى ساحةٍ خلف بناء السجن، يحيط بها شجر عالٍ، والشرطيات تملأن سفرة الطعام بما لذ وطاب من الأطعمة، المكدوس والجبنة واللبننة والبيض والحمص والفلفل وغير ذلك مما يذكرني بوجبة الإفطار في بيت أهلي، أعيش مع ألم الجوع ألم الشوق والحنين، والسجانات يتعمدنّ مدّ سفرتهن وشرب الشاي الساخن وقت خروجنا، فيما كان طعامنا اليومي أرزاً أو برغلاً سيء الطبخ حباته ملتصقة أشبه بالعجين، من دون أي طعم، خالياً من الدسم والملح، أو شوربة عدس تتكون فقط من الماء وقشر العدس، وفي أحيان قليلة معكرونة بريحة دبس بندورة، أو رز مع بازلاء من دون لحمة أو سمنة أو حتى توابل،

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

يقدمون لنا الطعام بقصعة معدنية لها يدان لحملها من الجانبين، من دون ملاعق ويضعون فوقها قرابة كيسين من الخبز لأسبوع، وهو في كميته بالكاد يكفي يوماً واحداً، باقي الأيام نأكل الخبز القاسي، نصارع به شدة جوعنا، وفي مناسبات نادرة يتكرمون علينا ببيضة مسلوقة أو خمس حبات زيتون أو مربى، في أول شهرٍ لي كدتُ أموت من جوعي لأنني بطبيعتي آكل ببطءٍ، ثم تدربت مع المعتقلات على عادة الأكل السريع، وهي ما تلازمني حتى الآن؛

الدخول إلى الحمام حسب الوقت وليس الحاجة، ثلاث مرات في اليوم والسجانات تقررُنَّ أوان ذلك، يُخرجنا في طابور لنستخدم الحمام على دفعات، الاستحمام وغسيل الملابس مرة أو مرتين في الأسبوع، ملابسنا اهترأت وأنا أعيد غسلها ولبسها، من حسن حظي أنني ساعة اعتقالتي كنت ألبس عباءة فوق بنطال وبلوزة، ساعدني هذا على التناوب في غسل ملابسنا الداخلية وارتداء العباءة حتى تجف ملابسنا، ثم في المرة التالية أغسل بقية الملابس، مساعدات اليونسييف والصليب الأحمر الدولي تُسرق، الدنيؤون حتى على الفوط النسائية، يعطوننا علبة واحدة كل شهرين أو ثلاثة، والباقي

يسرقونه، الصابون والمنظفات كذلك لا نرى منها إلا القليل جداً، فلا نستطيع تنظيف أجسادنا وأشياءنا؛

الأمراض منتشرة، والبرد مستمر وقاتل، اعتقلت نهاية الصيف بملابس رقيقة، ومرت علي أشهر الشتاء قاسية في المعتقل، تتضاعف آلام الروماتزم عليّ، وعلى الأرض الرطبة التي نجلس عليها، كنت أحشر نفسي بين النساء، علّ نَفْسهنّ بعددهن الكبير يعطيني بعض الدفاء، ويخفف من آلام مفاصلي، وكل ذلك هين بالقياس مع ما يحصل في غرف التحقيق، والخوف لا يفارقنا ونحن في المهاجع ننتظر النداء علينا بأرقامنا، نشعر بالموت يقترب، ونحن نفكر بما سيفعلونه بنا، وما الذي ينتظرنا؟ الصعق بالكهرباء؟ الحرق؟ الاغتصاب؟ القتل؟ وكلما عادت إحدانا نجد عليها أثراً من ذلك؛

وأنا كي أخلص نفسي منهم، اعتمدت حيلة التظاهر بأمراض معدية ومنها الجرب، كلما نادوا على رقمي هرولت مرعوبة أدوس من دون قصد على أجساد المعتقلات، وفي كل مرة يكرر علي المحقق ذات الأسئلة بخصوص حياتي الخاصة وتفصيلها؟ ما اسمك؟، ما عمرك؟ ما شهادتك؟ ما اسم أبيك؟ ما عمره؟ ما شهادته؟ من أمك؟

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

ما عمرها؟ ما عملها؟ من أين أنتم؟ أين تعيشون؟ أين تعملون؟ من زوجك وما شهادته وما عمره؟ كل التفاصيل عني وعن أهلي عن زوجي وعن أهله؟ ويسألون أكثر عن المطلوبين لهم من منطقتنا؟ وعلي أن أعرف كل شيء وأجيبهم كيلا يمعنوا في إيذائي، مجرد التأتأة تعرضني للضرب الشديد من الخلف، ولا أعرف من يضربني وكم عددهم من خلفي، ففي معظم الأحيان تكون عيناى معصوبتين، لا أرى من يسألني، المحققون على اختلافهم يسألون الأسئلة نفسها ولكلّ منهم طريقته الخاصة بالسؤال والتعذيب، يقاطعون الأجوبة في الملف وبالتعذيب حتى الموت ينتزعون الاعترافات، تعمدت استباق ذلك في إجابتي على كل ما يسألون، حتى ما لا أعرفه، أعطيتهم الجواب الذي يريدون؛

كنت أحضر إجاباتي بشكل جيد، يسعفني في ذلك ما كنت أسمع من إخوتي الذين عاشوا التجربة، ومن المعتقلات اللواتي كنّ معي في المهجع، يروين ما جرى معهن، كنت أسألهن عن كل التفاصيل لأبني أجوبتي، وأخلص نفسي، وأنا في الحقيقة لم أفعل شيئاً ضدّهم، كنت أتحاشى ذكر الله أمامهم، كيلا أتعرض لمصير "أم كاعود" امرأة من الميدان حدثني المعتقلات أنهم قتلوها تحت التعذيب فقط لأنها تدمرت

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

من أسألتهم وقالت لهم "الله أكبر عليكم" كلمة ثورة أو ثوار كافية لتعرض المعتقلة لذات المصير، نستخدم في الأجوبة كلماتهم "أحداث، أزمة، مسلحين أو إرهابيين، جماعات وفصائل مسلحة، اشتباكات، عصابات" كنت أركز جيداً وأحضر أجوبتي جيداً وهم يكتفون بضربي وإهانتني وشتمي، أتذكر في فرع فلسطين المحقق " حيدرة نعمان" لا أنساه بسبب ضربه لي، وبسبب ما شهدته أمامي، لو مسكته اليوم لاقتلعت حنجرته بأسناني، شهدته يحقق مع امرأة من سهل الغاب اسمها "سهيلة علوان" يتكلم معها بلغة عامية علوية، يلقيها على الأرض، يدعسها بحذائه العسكري لتفقد الوعي ثم يجرها العناصر من تحت قدميه، وأنا أرتجف بانتظار دوري في التحقيق، سألني عن ضباط كانوا أصدقاءً لأخي في الغوطة؟ أجبتة صادقةً أنني لا أعرف عنهم شيئاً، وهو يكرر صفع وجهي بقوة، ويضرب وجهي مرة بالحائط ومرة بالخزانة، وحينما أبكي يزعجه صوتي فيضربني أكثر حتى أسكت، بقيت أثار ضرباته على وجهي وقتاً طويلاً، مثلما بقيت أثار عصيهم ورفسات أقدامهم على ظهري ورأسني، بقيت في ذاكرتي مؤلمة أكثر الإهانة، في تحرشهم وكلماتهم النابية التي ينادونني ويصفونني بها، في ضرباتهم لي ساخرين على الصدر

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمراً، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

والمؤخرة، ربما تظاهري بالمرض المعدي وظهور انتفاخات في جسدي ساعدني في النجاة من ممارسات أفضع، أتذكر فتاة حققوا معها أمامي، مع كل جواب يكشف المحقق حيدرة شيئاً من جسدها، ويشتمها بألفاظ بذينة، وما أن دفعته عنها حتى نادى على العناصر ليحملوها إليه، فعلوها كأنهم كلاب مسعورة؛

كل هذا وحظنا كان أفضل من غيرنا، فنحن معتقلات في قسم يسمونه "سجن المهام" في الطابق السفلي، الأقسام الأخرى جميعها تحت الأرض، كلما كانت التهمة أكبر نزل السجن إلى طابق أدنى، سجن المهام مخصص للمعتقلين الذين لديهم أقارب مطلوبون، أو المتهمات بالمشاركة في الإغاثة الإنسانية؛

بعد قرابة الشهر من اعتقالني في فرع فلسطين مع ابنة عمي، أخذوني وحيدة إلى فرع كفرسوسة، وبقيت رنا لديهم،

من العتمة في فلسطين – ولا أدري لما يسمون الفرع كذلك - إلى الضوء المسلط على عيوننا لحرماننا من النوم في كفرسوسة، حيث من طرق التعذيب هناك عدم السماح بالنوم، الكاميرات تراقبنا وكل من تنام يدخلون عليها ليسحبوها من أقدامها، وحينما أشعر بالنعاس

يغلبني، كنت أضع رأسي على أرجل زميلتي بحجة أنها تنظف شعري من القمل، كانت تغطي بشعري عيوني لأغفو نصف ساعة فقط، وعلى هذي الحال بقيت في فرع كفرسوسة عشرة أيام تقريباً، نقلوني بعدها إلى فرع الجوية في المزة، وبقيت لديهم شهراً ونصف، لا تختلف المعاناة فيها عما سبقها، بنظرهم نحن مجرد حشرات، وطالما سألت نفسي عن سبب حقدهم علينا، امرأة ربة منزل مثلي لم تؤذهم؟ ولم تحمل تجاههم من قبل أياً من مشاعر الكراهية، أيديت الثورة بشكل سلمي، فقط بلساني، ولم أكن من الفاعلات أو القيادات فيها، ومثلي معظم المعتقلات، فلماذا بكل هذا الحقد يعاملوننا، من أين أتوا بكل هذا السواد في قلوبهم؟

عائلتي كانت أكبر همي الذي أفكر به وأنا في المعتقل، أولادي وبناتي، أمي وأبي وأختي، كنت أسأل نفسي فيم يفكرون به عني، وكيف يتخيلونني، كيف سينظرون لي وهم يعرفون ما تتعرض له المعتقلات من تحرش واغتصاب؟ أفكر بزوجي وأتوقع أنه يلومني على ذهابي للطبيب، لا اكثرث كثيراً وكل ما أرجوه أن يرعى أولادي في غيابي، يعصرني قلبي على بناتي، كيف هم بدوني، مريم الصغيرة المدللة تركتها في الصف السابع، كيف هو شعورها، وهي

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

تنضج في مراهقتها بعيداً عني، ابني الأصغر في نعومة أظفاره،
أنادي عليه مع مريم في نومي، صديقتي المعتقلات بتن يعرفن أسماء
أولادي من هذياني بهم وأنا نائمة، ألوم نفسي أنني أعرضهم للحزن
والحرمان؛

في المعتقل نواسي بعضاً، تنسى كل منا جراحها حينما تضعف أو
تنهار إحدانا، ليلتف الجميع حولها، بقوة وثقة تظهر لديهن لدعمها،
ثم ومن بين ذات البنات بعد حين، تتعب معتقلة أخرى، وتحمل
الأخريات واجب الاهتمام بها فالألم واحد، وفيما في كل مهجع ينعم
الله علينا ببطلة تحمل الشطر الأكبر في التخفيف عنا، يزرع النظام
جاسوسة، أسميها في معتقلنا "الجاجة" وكانوا ينقلوها بين مهجع
وآخر لتنتقل أخبارنا إلى الضباط؛

"أم النور" من حماة عزيزة على قلبي، تتفهم لوعتي على أهلي،
وخوفي وألمي، الرطوبة تضاعف وجع الروماتيزم على قدمي
وركبي التي لم أعد أستطيع ثنيها، فأسند رجلي إلى حضن أم النور
لضيق المكان وبرودة الأرض، وهي تمسدها بحنان؛

كنا نلقبها "أم زيوس" امرأة في فرع المخابرات الجوية برتبة ضابط، تتعامل معنا بطريقة أفضل من غيرها، ناددتني يوماً مع سارة ونور، معتقلتين من الرقة بسبب اتهام أفراد من عائلتيهما بالانتماء لداعش، ارتعبت لظني أنها تسوقني للإعدام الميداني، وتفاجأت بأننا في الأمانات، تسلمنا مع خمس نساء أخريات أوراقاً بإخلاء سبيلنا، عرفت منها تاريخ اليوم 12 شباط 2016، ومن فوق باب الفرع ركبت مع سارة ونور تكسي صفراء، ونزلت في باب مصلى أقصد طريق الباصات إلى درعا، وبثيابي الصيفية المهترئة ومظهري الغريب ركبت حافلة متوجهة لبلدة الصنمين، لأنزل على الطريق العام وأتابع - كما كنت أخطط - بسيارة توصلني إلى أهلي، وقبل أن نصد الميكرو باص أخذوا هويات جميع الركاب وسجلوا بياناتهم، وتركوها مع السائق ليمررها كما هي العادة على الحواجز الأمنية، ومرة ثانية على حاجز اسمه جسر صحنايا، لم يكن خوفي من تكرار اعتقالني مبالغاً، فالسائق الذي نزل بالهويات إليهم، عاد ومعه عنصر منهم، ناداني باسمي أن انزلي، أنت مطلوبة، أحبته معي إخلاء سبيل، قال اصمتي، وأمر السائق بالذهاب، وأنا عدت كما في المرة الأولى أجهش بالبكاء، رفعت بالصراخ صوتي حتى قدم الضابط من حيث

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

كان منشغلاً في جرّ شاب متخلف عن الخدمة العسكرية إلى سيارة اقتادته وسط توسلات أمه إليهم أن يتركوه دونما جدوى، ناولت الضابط ورقة إخلاء السبيل، وأنا أشرح له أن زملاءه أفرجوا عني ولم أعد مطلوبة، وأرجوه أن يتركني من أجل أولادي، نظر إلي شامتاً متعالياً، ثم مزق الورقة وقال هذه اشربي ميتها، شهر العناصر بوجهي السلاح ووضعوني في صندوق السيارة الخلفي، تلاشت من جديد فرحتي، تلاشت من جديد حرיתי، تلاشت كرامتي، وبدأت من وهنا أدرك ألا أمان لنا معهم في وطن واحد؛

قادوني إلى الشرطة العسكرية، والسجن فيها على سوءه يبقى أفضل من سجون الفروع الأمنية، بعد ثلاثة أيام من مكوثي فيها طلب الضابط من المساعد أن يبحث عن رقمي، بادرت بلهفة أنني أحفظه، فنظر في الضابط بازدراء وهو يهّم بضربي صارخاً في وجهي اخرسي، وتابع أمره للمساعد طلع رقمها مشان نعرف وين نزميها؟ وإلى ذات المهجع في فرع الجوية أعادوني دونما تحقيق، الدهشة ومشاعر الإحباط علت وجوه صديقاتي المعتقلات، شعرنا أننا سنخلد هنا، حتى وإن خرجنا فلا ضمان أنهم لن يعتقلونا من جديد، القهر

أكل روعي وأنا أفكر أن أي سبب تافه أو بدون سبب يستطيعون سلبنا حريتنا وجلبنا إلى الجحيم، وما من معين إلا الله الذي استجاب دعائي فنادوا علي بعد خمسة أيام للإفراج، ومعني هذه المرة أم النور، صديقتي التي أحببتها، وكما هي في المعتقل بدت معنا ونحن نغادره، ما تركتنا أبداً، وأخذتني مع ناجية أخرى من باب الهوى إلى بيت أختها، وهي تقول تعالي ارتاحي هناك وغيري ثيابك لنفكر في الطريق الآمن إلى أهلك؛

في بيت أختها لا أستطيع وصف سعادتهما خلال اللقاء، عناق طويل وبكاء، فرح وأسى، وكل هذا لم يشغلها عن الاعتناء بنا، حمام نظيف وشاي ساخن مثل الذي كانت السجانات تشربنه أماناً، وطعام بسيط لذيق نظيف، من ثيابها أعطتني ما يدفئني، ووسط كل هذا ألح عليهما أن يساعدوني في طريقة لأصل بها أهلي، فأخبروني بعد سؤال أن الطريق إلى بيتي في درعا صعب، والأفضل أن أتوجه إلى إخوتي في الغوطة من خلال أنفاق حفرها الثوار تحت الأرض، رائحة القهوة التي صنعتها ومذاقها الطيب لم يؤخرا إلحاحي في المغادرة، طلبتا مني أن أبقى فقلت لهما أن قلبي لا يحتمل، وأم النور كما هي بشيبتها لا تتركني ههنا أيضاً، ففي التكريسي الذي طلبته من

أجلي، رافقتني في مسالك فرعية إلى أقرب نقطة على مدخل النفق في القابون أنزلتني هناك وأكملت راجلةً طريقي، كلما التفت خلفي أجدها ما تزال على الطريق ترقبني، وتشير لي بيدها مبتسمةً أن اسرعي؛

في مدخل النفق لاقاني مجموعة من الشبان الثوار، بادروني بالاستفسار عن شخصيتي، فأخبرتهم أنني معتقلة وللتو خرجت، علّت بالتكبير أصواتهم وهم يتسابقون في إكرامي، تعرفوا على إخوتي وأخبروني أنهم في عربين، وهي منطقة اشتباك والوصول إليها صعب، أخذوني إلى مكتب لهم يهتفون من أجلي ويرتبون اتصالاً مع أخي من أجل ملاقاتي، مجموعة منهم نزلت معي النفق، البنادق هذه المرة لحمايتي، وعيون الرجال على شدتها ههنا مؤنسة وجميلة، تحنو عليّ وتغض الطرف عني، في نهاية النفق لاقاني أخي يصرخ فرحاً ودهشةً "والله هذه سمية، نعم هي سمية، سمية حية، لك الحمد يا ربي" حضنني وبكينا سويةً لمدة تقارب الساعة، كنت على سعادتني مستغربة هيستريا الفرحة البادية على أخي، يكاد ذو الثقل والكياسة أن يرقص وهو يردد، أنت حيّة، لست ميّنة! ركبنا السيارة إلى أهلي، وقبل أن نصل بدأ يصرخ منادياً على أبي وأمي، ويخبرهم أنني

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

وصلت إليهم، بعثوا صورتي إلى بناتي وباقي إخوتي ليخبروهم أنني نجوت، وليخبروني - فيما بعد - أن أخوتي باعوا سياراتهم وبعض أملاكهم من أجل الإفراج عني، وأن ضابط المخابرات بعد أن استلم عبر وسيط الرشوة منهم، أخبرهم أنني وابنة عمي متنا بأزمة كلوية، حاول إخوتي - دونما نتيجة - الحصول على جثتي مقابل الملايين التي أخذوها منهم، لم يخبروا والديّ وأخواتي بخبر وفاتي خوفاً على صحتهم، أخبروا فقط زوجي الذي انشغل بتأهيل أولادي ليعتادوا على حياتهم من دوني، كلما سألوه عني طلب منهم نسياني، وحين عدت مرة ثانية من جحيم العالم الآخر إلى هذه الحياة، فراق مستمر جديد لم أراه فيه لسبع سنين، فكل منا في منطقة محاصرة مقطعة الأوصال عن المنطقة الثانية، ثلاث سنوات في الغوطة التي هُجرت منها مع إخوتي بالباصات الخضر بعدما قصفنا النظام مرة ثانية بالكيميائي، وفرض علينا تحت الإذعان اتفاقاً بمغادرتها إلى إدلب، ثم أربع سنوات في إدلب، أنتظر ساعة رؤيتهم، ابنتي التي تركتها طفلة في عمر اثنتي عشر عاماً، أضحت الآن صبية وعمرها تسعة عشر عاماً، وهمُّ جديد في كيفية إيصالها مع ابني للمَّ شملنا في إدلب، الطريق بين المنطقتين خطر، وهرباً من خطر أكبر كان لابد من

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

المجازفة، فابني ما أن شب وكبر حتى دبت في وجدانه حماسة، جعلته مطلوباً للأمن العسكري، ودرعاً لم تعد آمنة كما هي من قبل، وفيما تقطعت أنفاسي وهما على طريق الموت ينشدان الحياة، ينشدان مع أمهم العيش بسلام، وصلاً إليّ في يوم سعادتني فيه لم تك أقل من سعادتني بيوم نجاتي من المعتقل؛

مع ما في حياتنا الجديدة من بعض استقرار وسعادة، لا زلت أثار ذكريات السجن كابوساً لا يغادرني، كيف يغادرني وهناك تركت رناً، توأم روحي، ألوم نفسي أنها وافقتني ومن أجل علاجي رافقتني إلى السويداء، رافقتني عند دخولي المعتقل، ولم ترافقتني عند مغادرتي، عمرها آنذاك سبعة وعشرون عاماً، احترق في المعتقل قلبها وهي تبكي على أطفالها، غلبتها اللوعة والقلق عليهم حتى باتت تقضي كل وقتها في زاوية المهجع، كلما اقتربنا منها لانسمع إلا نحيباً خافتاً في صوتها، وهمهمات بأسماء ولديها الصغار وابنتها ذات الأربعة أعوام، وفوق كل هذا آلام مرضية تشتد عليها بسبب حالة استسقاء الكلى التي تعاني منها منذ فترة، لم يفلح رجاؤنا للسجانين بأن يسمحوا لها بالذهاب إلى التواليت، وحصر البول يسبب لها ارتفاعاً بالحرارة ورجفاناً وحرقة، في كل مرة تصرخ رناً من الألم

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمراً، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

أتوسلهم لإخراجها، والسجان ألطف كلمة يجيب بها عليّ "فهمنا أغلقتي الشاروقة" مجرد قضاء الحاجة يضمنون به علينا، والحرمان من الطعام والشراب أهون، وأنا إذ استمع بعد نجاتي لمحاضرات حقوق الإنسان، أشعر بالانفصام عن هذا العالم، وأنا أتذكر رنا، عذبوها بالحرمان من أبسط الاحتياجات الطبيعية الضرورية لبقاء المخلوقات على قيد الحياة، بشراً كانوا أم حيوانات، اشتد المرض عليها وباتت بيننا مثل خرقة لا تقوى على النهوض، فأخذوها بعد أيام من هذي الحال إلى ما تسمى الرعاية، وعادت إلينا فقط بمسكن دونما علاج، ودونما إذن يسمح لها باستخدام التواليت وقتما تحتاج وخارج الأوقات الثلاثة المحددة بزم، وعلى هذا الحال تركتها في فرع فلسطين يوم رحلوني إلى سجن كفرسوسة، ولم تفلح محاولات العائلة في الإفراج عنها، مصيرها كما هو ما يزال حتى الآن مجهولاً، وما تغير أن صغارها قد بلغوا سن الفتوة بعيداً عنها، تحفر ذكراها في وجدانهم جرحاً عميقاً يلتهب ويتفح مع ما يسمعون من قصص التعذيب والاعتصاب في السجون، يتحول الحقد الدفين إلى نزعة انتقام لا يعالج أثارها إلا المحاسبة؛

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

كيف أنسى ومذ خرجت من المعتقل وحتى الآن بين كل حين وحين،
يطرق بابي من يسأل من العائلات عن ابنة لهم ما تزال مفقودة،
الصور التي يروني إياها ليست ممن كنّ معي، هول العدد يذهلني
في استنتاج أن حجم الواقع أكبر من التصور، يوماً ما فاجأني رجل
بصورة "مرام" يسأل عنها، قلت نعم هي مرام، بنت الواحد وعشرون
عاماً، اعتقلوها فقط لأن زوجها انشق عن جيش النظام، وعذبوها
بشكل مضاعف ليعرفوا أخباره، ثم وضعوها في زنزانة مفردة تشبه
التواليت، لا تغادرها إلا لجلسات التحقيق والتعذيب، يقدمون لها فيها
كل يوم كسرة من الخبز، وتحت شدة التعذيب أعطتهم ما يريدون من
معلومات، اعترفت لهم بأن زوجها يقاتل مع جبهة النصرة في
الغوطة، ها هو ذا زوجها يسألني عنها، خشونة المقاتل في جسده،
وقوة عينيه لم يمنعه من البكاء حينما أخبرته أنها كانت معي، يكرر
إظهار صورها على موبايله ويكرر أسئلته أهذه هي؟ هل هي حية؟
هل عذبوها؟ هل اغتصبوها؟ كيف كانت أحوالها؟ صحتها؟ نفسيتها؟
وبين كل حين وحين يقصدني بذات الأسئلة، يكتم في عيون كالصقر
دموعه، وأحياناً كطفل يجهد بالبكاء، مستجدياً المزيد من أخبارها؟

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

كيف أنسى وسفرة الطعام الشهية في كل مرة تذكرني بهم، كيف أنسى والروائح الكريهة ما تزال تطوف حول أنفي، كأني ما زلت هناك، في حياة الموت، أو موت الحياة، كيف أنسى وما يزال من أهلي وصحبي كثيرون مفقودون لديهم، أخي حامد، بعدما سمحوا لزوجته بزيارته مرتين عام 2013، عادت وانقطعت أخباره عنا، هناك من يقول أنهم أعدموه في 2017، وفيما وجدنا صورة ابن عمي رامي بين صور قيصر لم نعثر لأخي على أثر، كذلك الحال مع ابن عمي "جمال" اعتقلوه في حرم جامعته بمنطقة البرامكة، عمي "عيد" الرجل الرشيد، كبير في السن، يقال أنه مات تحت التعذيب، بسام رغم أنه لم يبدِ موقفاً ضدهم وبقي في عمله مهندساً بالري اعتقلوه وأخفوه، وحتى علي الذي قبل بالمصالحة معهم في درعا، بعد التسوية بفترة وجيزة اعتقلوه وأعدموه، كيف أنسى ونحن عائلة تتعرض للإبادة، نعم هي إبادة ويقتلوننا لأننا سنّة.

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

القصة 5 - ابني شهيد وليس فطيسة

في ذاكرتي تفاصيل لا أنساها، ومع كل مساء أنظر إلى السماء في بوح ومناجاة، أن للعدالة ساعة احكي فيها كل ما جرى، وكيفا تفر الحقيقة أفصح لكم بما أحفظه منها؛

وقستي بدأت يوم أخبرني أحد أولادي أنه لم يعد يستطيع أن يبقى مع النظام في قطعته، فالضابط المسؤول عنهم، مع الأمن المتغلغل بينهم، يراقبونهم، وعليهم جميعاً أن يشتركوا بإطلاق النار على المدنيين في الشوارع والبلدات، أخبرني أنه قرر الانشقاق، ومن دون أن أشجعه فرحت بقراره الذي توقعته وانتظرت، هو ذا ولدي الذي

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعا مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

ربيت، وفيما بقيت انتظر بعد مكالمته خيراً عنه، فاجأنا الأمن بعد أيام قليلة بعناصر كثيرة يبحثون في بيوت المدينة عن ولدي، جدته المسنة الحنونة كانت أول من تلقت الصدمة، وعلى عمرها كانت إهانتهم قاسية عليها، وجدوها تجلس أمام الدار، فشتموها ودفعوها، وعلى الأرض بقيت مرمية إلى أن غادرونا فأسعفناها إلى المشفى حيث أخبرنا الطبيب أنها أصيبت بجلطة دماغية، وعلى إثرها دخلت في غيبوبة وتوفيت بعد ثلاثة أيام؛

الجدة الحنون أولى الضحايا، بموتها قرر ابني المنشق ألا يتوقف عند حدود الفرار من خدمتهم العسكرية، وانضم إلى الجيش الحر للدفاع عن المدنيين، ومذ ذاك لم أره حتى وصلني بعد عامين خبر استشهاده، بطلاً يقاوم، ما تغلبوا عليه وصديق له، يتحصنون في مبنى، إلا بإطلاق قذيفة دبابة عليهم، اجتاحوا بعد ذاك المكان ومثلوا بجثته؛

اعتقدنا بعد ذلك أنهم سيتوقفون عن مداومة منزلنا، ورغم أن زوجي غادر قطنة إلى مزرعتنا في البساتين، داهمت دوريات الأمن الجوي المزرعة، واعتقلوا زوجي لأيام، وصلني خبر بعدها أنه في المشفى

بسبب حرق في يده، وحينما ذهب إليه وجدته بلون الفحم محروقاً في كامل جسده، بالكاد استطعت تمييزه، ولم يسلمونا جثمانه حتى أجبرونا على التوقيع أنه انتحر بحرق نفسه في الغاز، وقعت وأنا أرمق الضابط بنظراتي أقول لهم فيها إنكم من قتلتموه، فهمها ودونما سؤال مني قال متحدياً مشاعري "سنحرقكم واحداً واحداً"

ما كنت أدري أن ما يقوله حقيقة، وأنهم يفعلون ذلك بتخطيط وتصميم وإرادة، حتى اعتقلوا ولداي، حمود وكان آنذاك طالباً في الصف الحادي عشر، لا أعرف حتى الآن عنه خبراً، وأحمد صورته مسربة عبر قيصر، والتعذيب بادياً فيها على أسنانه المكسرة والانفخاخ في وجهه وجسده، ابن أخي وابن أختي كذلك قتلوهم تحت التعذيب؛

غادرنا بيوتنا، نتنقل من منطقة لأخرى، وهم كأنهم يلعبون معنا لعبة الموت والحياة، ما أن يستضيفنا أحد حتى يستدعونه منذرين، وفي آخر مرة اعتقلوا أحد الطبيين الذين أمنوا ملجأً أو انا فيه شهر، وفيما بقي الرجل حتى الآن مخفياً لديهم، لم يتركوا لمن بقي من شباب العائلة إلا خيارين، حمل السلاح أو الرحيل، والشبيحة في بلدتنا يكررون الحديث أن الدولة تربي بنا كل إرهابي وعميل؛

بقيت بمفردي في منزل قريبيتي القاطنة بأحد أحياء دمشق لا أغادره
أبداً، حتى مرت سنتان ونصف دخلنا بعدها عام 2015 وخلالها
اعتقدت أنهم قد اكتفوا بمن قتلوا منا ونسوننا، بدأت أفكر في السفر،
وقلت في نفسي ليس في ذلك خطر، فهم من ناحية يدفعوننا إليه ليكون
كل من الداخل من لونهم فلا يعارضهم فيه أحد، ومن ناحية ثانية، لم
يطلبوني بشكل مباشر، ولم يسألوا عني من قبل، وملاحقاتهم انصبت
على أسماء معينة من عائلتنا، اعتقدت أنهم لن يهتموا بي سيما أنني
امرأة لم تأت بحركة ضدهم، وبناء على كل هذا ذهبت بقدمي إلى
مديرية الهجرة والجوازات لتجديد جواز سفري؛

سألني أحدهم: لماذا تريدان جواز السفر يا عائشة؟

قلت: أريد السفر إلى ابنتي الحامل في أشهرها الأخيرة فقد اقتربت
ولادتها وهي بحاجتي،

بدأ بتجهيز الأوراق وبقيت أنتظر مع مجموعة من المراجعين ريثما
ينتهي من الإجراءات اللازمة،

بعد قليل نادوا باسمي "عائشة تعالي معي"

خفت وقلت إلى أين؟

مسكني من يدي بقوة وهو يقول: أنت لماذا تريدين الذهاب إلى
السعودية؟

قلت: قلت لك قبل قليل ابنتي حامل وهي بحاجتي في ولادتها، ليس
بجانها من يعينها.

لم يلتفت لكلماتي وهو يجرنني إلى الأسفل حيث غرفة كأنها تحقيق،
أو بدت لي كذلك،

فتح الأوراق التي أمامه وهو يقول "تريدين الذهاب إلى السعودية من
أجل أن تمولي المخربين؟

قلت: أنا لا أعرف مخربين، ولا أريد جلب أموال لأحد، أريد الذهاب
لمساعدة ابنتي الحامل؛

تركني قليلاً ثم عاد يجرنني إلى غرفة توقيف، فتح بابها الحديدي
وألقاني وسط ظلمتها وأغلق الباب، كأنه يطبقه على صدري،
استجمعت قواي أصرخ "مشان الله طالعوني"

بعد ثلاث ساعات تقريباً فتح الباب وقيدَ يديّ قائلاً "رح نطالعك على مكان ثاني يخلوك تحكي ليش مسافرة إلى السعودية"

صعد بي إلى حافلة وأجلس بجانبني كلباً بوليسياً، كلما نظر إليّ شعرت أنه يريد تمزيقي بأسنانه، وأنا أتوسل إليه طوال الطريق أن يبعده عني، وهو يقول لن أبعده عنك وسيلازمك حتى تعترفني؟

أخذوني إلى فرع المنطقة وعند وصولي استقبلني أحدهم

بقوله: (أهليين) منذ سنة ونحن نبحث عنك! أين كنت يا.....؟

وإلى غرفة فيها عدد من رجال الأمن جرني، سأل أحدهم، ما قصتها هذه؟

بادرت بالجواب، أنا لم أفعل شيئاً فقط أردت السفر إلى ابنتي في السعودية.

قال: ما اسمك؟ قلت: عائشة.

قال ممسكاً ببطاقة موبايل "نحن نبحث عنك منذ عام"

سمعتهم بصوت منخفض يتحدثون باسم ابني الذي انشق عنهم،
تذكرت أن بطاقة موبايله مسجلة باسمي، كررّ بصوت عالٍ شتم ابني
وشتمي، وصرخ في وجهي أليس هذا الفطيسة ابنك؟

تذكرت ابني في حديثه الأخير معي يخبرني أنه يرفض تنفيذ أوامرهم
بقتل النساء والأطفال والشيوخ، عرفت حقدهم عليه لأنه قاومهم ولم
ينالوا منه إلا غدرًا، اجتاحتني مشاعر الفخر به، استجمعت قواي
لأحفظ مكانته في غيبته، كما حفظها هو في حياته، وقلت لهم "ابني
شهيدٌ وليس فطيسة"

انهالوا جميعهم عليّ بالضرب يصفوني بكلمات بذيئة،

قال أحدهم أنت مع الإرهابيين إذًا؟

قلت: لست معهم ولست معكم، تضربوا أنتم وهم؟

استمروا في شتمي وضربي، حتى قال أحدهم خذوا منها الأمانات،

سألني آخر: ماذا تحملين من الأشياء؟

فأخرجت ما أملكه من نقود 2000 ليرة سورية وجزدان ودبوس
للشعر.

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعا مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

استلمها وهو يتفحصني، قائلاً سنفتشك، ثم انتبه إلى خاتم في إصبعي
وقال أعطنيه،

قلت "هذا خاتم ولدي الشهيد، اشتريته في غيابه من أجل خطوبته،
أنتم قتلتموه فاتركوا لي الخاتم ذكرى؟

ضربني ثانية، ونزع الخاتم مني عنوة، وهو يكرر وصف ابني
بالفطيسة؛

وأنا أصرخ بوجهه "ابني ليس فطيسة"

وهو يستمر في ضربي حتى تعب، وعاد يسألني أليس معك نقود
أخرى، أخرجيها،

قلت "ليس معي غير ما سلمته"

قال أين موبايلك؟

قلت "ليس عندي موبايل"

ثم جرتني من غرفته إلى ممر على جانبه أبواب حديدية، فتح أحدها
وألقاني في غرفة بالكاد تتسع لعشرة أشخاص، وكانوا قد وضعوا

فيها خمس وثلاثين امرأة، بأعمار متنوعة بين سن الطفولة
والشيخوخة؛

بدرنني بالحديث يخفن عني، ويسألنني عن اسمي وعائلي وقصتي،
وأنا في عمر الخامسة والأربعين عاماً، فضلت التريث في الحديث
معهن، وقد كنت أسمع أن الأمن يزرع بينهن مخبرات، فقط موجة
من البكاء انفجرت بها، وقد كنت خلال التحقيق أحبسها، كيلا أفرحهم
بذل أم الشهيد، والنساء معي يسألنني شفقةً فلا أجيب، حتى اليوم
التالي، اقتربت إحدى صغيرات السن مني تقول وهي ترقب دموعي
"ما بك يا خالتي لماذا تبكين"

قلت: بسبب الظلم، لم أنا هنا بدون ذنب أو فعل فعلته

سألتنني عن أولادي وهل شاركوا بالثورة؟ قلت "لا"

قالت: يا خالتي احكي لهم عن أولادك وأقاربك، وما تعرفيه عن
عملهم بالثورة وهم يفرجون عنك بعد ذاك؛

أجبتها أني لا أعرف شيئاً، وهي تلح عليّ بأن أفعل لأنجو منهم،
وأني إذا لم أخبرهم فلن يتركوني أبداً؛

كررت لها جوابي، وأنا أعاهد نفسي ألا أبوح لهم بأي شيء أعرفه، وجل الشبان من عائلتي وجيراني مشاركون بالثورة، عاهدت نفسي أن أفديهم بروحي، وأنا التي لم أساهم معهم بشيء من إنسانيتهم وبطولاتهم، أفديهم الآن بروحي، أقسمت لنفسي أن أم الأبطال لن تكون خسيسة، وبت وأنا التي فقدت اثنين من أبنائي، أحنُّ على جميع فتيان الثورة، وأشعر بهم كفدات كبدي؛

المهجع غرفة صغيرة مدت المعتقلات أرضيتها بطبقة من البطانيات، وتركن طبقة ثانية غطاءً وقت النوم، والبطانيات مليئة بالقمل والحشرات، رائحتها كريهة، والتواليات بذات الغرفة من زحمة عددنا فيها يجلس بعضنا على طرفه، وعند النوم نتمدد بالتتالي على جانب واحد ملتصقات ببعضنا لضيق المكان، وفي كل صباح يدخلون علينا بوجبة طعامنا الشحيحة، بضع حبات من الزيتون وخبز بالكاد يكفي، يفتحون معها علينا الباب بضرباتهم العشوائية بواسطة قضيب بلاستيكي يسمونه الأخضر الإبراهيمي، استهزاءً منهم بالأمم المتحدة، والبنات على هذا الحال ينهضن من نومهن على بذيء الكلام يصفوننا به؛

وفي ثالث أيام اعتقاله، دخل علينا أحدهم كالمجنون، يسب ويشتم ويناديني باسمي؟ وفيما كنت أهم بالنهوض دعس بحذائه أجساد النساء ليصل عندي ويجرني، أغلق عيني بعصابة وقيد يديّ وأدخلني إلى المحقق الذي قدرت من صوته أنه في عمر أولادي، لا أدري أشفق عليه أنه مع النظام بهذا السلوك، أم أشمئز منه؟

سألني عن اسمي، أحبته عائشة؟

قال: تريدان السفر إلى السعودية من أجل تمويل الإرهابيين؟

قلت: لا، ابنتي حامل واقتربت ولادتها وليس بجانبها من يعينها.

قال: أنتم كلكم من الإرهابيين.

قلت: أنا لا دخل لي بالإرهابيين ولا بغيرهم.

فشتمني بأبشع أنواع الشتائم المقرفة والمُعيبة، وضربني كثيراً على رأسي ووجهي وجسدي، صرخت في وجهه أتضربني وأنا في عمر أمك، قال أنت كذا وكذا وكذا فشرتي تكوني أمي، قلت أتضربني وأنا امرأة مقيدة، مطمثة، زاد في ضربي وأمعن الجبان في إهانتني، تمنيت لو أن الميدان عادل لعلمته كيف تكون الرجولة؟ وأحسبني

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

بعنادي غلبته، لينهي جلسته مستسلماً ويصرخ بالسجان أن يعيدني
إلى مهجعي؛

ما أن دخلت المهجع حتى انفجرت كعادتي بالبكاء، أطلق لدموعي
العنان، تعبر عن قهري، ولا أبوح بها أمام العناصر فيفرحوا بذلي،
بادرتني فتاة ارتحت لصوتها تخفف عني، تجاذبت معها الحديث
فعرفت أنها مريضة سرطان، وضعت يدي على رأسها أحس بها
التورم البادي عليه، وكنت قد لاحظت أن المعتقلات يبتعدن عنها -
من جهلهن - خوفاً من العدوى، وضعتها على صدري، ويدي على
رأسها أدعو، لتنام كما هي حتى الصباح، وحينما استيقظت بادرتني
بالقول يا خالة لا تخافي، قلبي يقول لي أنك ستخرجين من هنا، وأنا
هبطت عليّ العزيمة فما عدت أهاب أحداً، فقط ما كان يقلقني وضع
ابني الأصغر، وخاطر أطرده عني أنه من أجلي ربما يسلمهم نفسه؛
تعرفت على امرأة عمرها خمسة وسبعون عاماً، اشتبهوا باسمها
فاعتقلوها خطأً، وبعد شهر أمضته في الحزن والبكاء أفرجوا عنها،
لا يرحمون أحداً والفتيات الصغيرات يتعرضن لإيذاء مضاعف،
جسد آمنة ما زال حاضراً في ذاكرتي، أحالوه من الأبيض للون

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

البنفسج، وستة من العناصر بعد أن اعتدوا عليها، صبوا الماء المغلي على أعضائها الحساسة، سألتها لماذا كل هذا؟ قالت بأنها قاومت الضابط الذي يريد مضاجعتها، وفتاة أخرى صغيرة، سبحان الذي خلقها، لم يخفِ التعذيب جمالها، وجهها كالبرد يبدو موشحاً بهيبة الحزن ورحمانية القهر، لوحدها تسرح باكية فلا نعرف لها قراراً إلا حينما يدخل علينا الضابط، وما أن تراه حتى تشخص عيناها، وتصطك أسنانها، ويتخشب جسدها مرتعشاً، تدخل في غيبوبة فلا نوظفها منها إلا بعد أن يخرج الوغد، قصص كثيرة أليمة منها ما شهدته أمامي ومنها ما حدثني بها المعتقلات، وإحداهنّ تنقلت بين عدة فروع وتعتبر التعذيب والإهانة في بعضها أشدّ بكثير من ههنا، أخبرتني أن المحقق مرّةً بال على وجهها، بعد ممارسته كل صنوف الإهانة بحقها؛

استمرت جلسات التحقيق معي بذات الأسئلة، وأنا على ذات الأجوبة أتحمل الضرب والشتيمة، والمعتقلات اللواتي بتنّ صديقات لي يمسحن جروحي ويخففن عني موجة البكاء التي اعتدت أن أنفجر بها أمامهن حينما أعود من جلسات التعذيب والإهانة، وفي يوم فاجأني المحقق بسؤال عن ابن أخي؟ قال: شو يقرب لك أبو متعب؟

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمراً، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

أحبته، فسألني عن مكانه، قلت "من أين لي أن أعلم"

شتمني بكلماته البذيئة كعادته، وبدأ يركلني بحذائه ويضربني بالأخضر الإبراهيمي حتى فقدت الإحساس بجسدي، وفي قرارة نفسي أستمرّ في عنادي، أتحداه فأغلبه ليتعب ويتركني، وعلى هذا الحال في كل مرة ذات الأسئلة وذات الأجوبة وذات التعذيب والإهانة، حتى الليلة الثامنة والعشرين من اعتقالني، رأيت فيها بالمنام ابن أخي أبا متعب، أعطاني خمس أوراق بيضاء قائلاً "لا تخافي يا عمتي أنا حولك"

لم أخفِ على صديقتي سعادتي حينما استيقظت، تدرجتُ فوقهن وهنَّ نائمات أوقظهن، وأخبرهنّ أنني رأيت بشري خير في منامي، وبين شكٍ وتصديق فتح - بعد يومين - السجن الباب ينادي عدداً من المعتقلات كنت إحداهنّ، ساقنا مقيدات إلى الأمانات، سألني عن أغراضني فأشرت بيدي إلى الخاتم، وقلبي يلهج بذكرى الشهيد ولدي، وكدت أنسى الجزدان ودبوس شعري مع مبلغ الألفي ليرة؛

قال: هل عذبتك؟ هل ضربناك؟ هل تسببنا بمضايقة لك؟

قلتُ و عيوني المتورمة تجيب، مع وجهي المليء بالكدمات "لا"

حملونا في حافلة عسكرية مقيدات إلى مكان آخر، دموع الفرحة تغمرني وأنا أراقب الحياة، وكأن البشر هنا في شوارع المدينة غير البشر الذين تركتهم خلفي هناك، تتسارع دقات قلبي ولا أدري أسى هي أم سعادة، أنزلونا إلى بناء قديم، رفعوا العصب عن أعيننا وقادونا في درج ثلاثة طوابق تحت الأرض، وضعونا من جديد في غرفة مظلمة، وأخبرونا أن الطعام هنا يباع، ويمكننا أن نوصيهم عليه ليحضروه، طلبت منهم سندويشتين فلافل، واحدة لي وواحدة لصديقتي التي لم يكن معها نقود، ودللت نفسي أيضاً بأن طلبت كازوزتين، وفي الصباح أخرجني إلى تحقيق جديد مختلف قليلاً، ركزوا كل أسئلتهم على أبي متعب، وعلى الفصيل الذي يتولى قيادته، ومن السياق العام لحديثهم فهمت أننا نجونا بصفقة تبادل، كان لابن أخي دور أساسي فيها؛

سألوني أين تذهبين، فخفت من البوح لهم بمنطقة أولادي، قلت قطنة، فكوا قيودي وأرسلوني بسيارة لهم إلى الكراج، التقطوا لي صوراً بموبايلاتهم هناك كإجراء في صفقة التبادل، سعدتُ منهكةً وحدي باص النقل الداخلي، الألم في عيني بات يشتد علي، أو بتّ أنا أشعر بالألم الذي قاومته في المعتقل، تحسست الانتفاخ في وجهي والركاب

يستغربون شكلي، خفت عليهم من عدوى القمل والجرب، فانزويت في مقعدي، حتى بادرتني امرأة ما لمحتها عند صعودي الباص، أم أحمد جارتني، اقتربت مني تتفحصني كأنها تريد أن تتأكد، وما أن سمعت صوتي حتى انكبت علي تعانقتي، لم تجرؤ علي سؤالي عن أي شيء، ولم تدعني أحدثها بشيء، فقط الدموع تحيط بابتسامتها الحزينة، ونظرات حب بها تغمرني وتودعني وأنا أنزل قبلها من الحافلة، أقدر أن خوفها على أولادها منعها من دعوتي لبيتها ومن مرافقتي إلى بيت أختي على الطريق العام، نزلت عند مفرق قطنة والركاب ينظرون إلي بخوف أو شفقة، أشجعهم كان السائق، ترك مقعده وأنزلني، وهو يحلف يمينا أن يعيد لي الأجرة، تابعت سيرتي متعبة حتى استوقفني شاب يصيح: إلى أين تذهبين يا حجة؟

قلت: إلى بيت قريبتني في قطنا.

قال: إلى أين تذهبين؟ هذا طريق المنشأة العسكرية، ولا يدخل إلى هنا إلا من يريد الموت! تعالي أصطحبك إلى طريق البلدة الصحيح، استغربت نفسي وأنا أتوه عن طرقات بلدي، ومن بعد أن تركني الشاب على أول المفرق استغرق الوقت معي ست ساعات حتى

وصلت بيت أختي، اعتقدت أن قواي التي استجمعتها في المعتقل انهارت الآن، لكن الأطباء الذين أحضرتهم أختي قالوا بعد الفحص والتحليل أنني أصبت بمرض السكر المزمن، وأن عيني تعرضت لضربة قوية وتحتاج لعملية عاجلة كيلا يضيع بصري؛

من بلدتي قطنا إلى منطقة زاكويه، قادني قلبي حيث ولدي الذي لم يترك لي المجرمون غيره، وقد قتلوا واخفوا أباه وإخوته، إلى زاكية المحررة من النظام حيث أبناء أخي هناك ذهبوا، وفيها مكثت أربعة أعوام لا أغادرها، عشت معهم القتال والحصار، الجوع والسمود، حتى فرض علينا الروس تحت القصف الوحشي التهجير أو الاستسلام، وكنت ممن اختار الرحيل على العودة للعيش بذل تحت حكم عصابة قتلت زوجي وأولادي، وعذبتني وأهاننتني مع غيري من النساء؛

وإلى إدلب بالباصات الخضراء، أحمل معي ذكرياتي، وعقب أولادي في أطفالهم، أحنو عليهم، وأتدبر من نسج الصوف بعض معيشتهم؛

القصة 6 - قال لي لا تحلفي بالله، احلفي بشيءٍ آخر

وطني في بيتٍ مهجور، في دمعةٍ مقهور، في تنهيدةٍ حائرٍ وقولٍ
مأثورٍ لثائرٍ؛

أنا علا، من ريف دمشقٍ أنحدر، وهذه ابنتي بجواري في الصف
الرابع، لم تر أباهما من قبل، فيوم اعتقاله كانت جنيناً في بطني؛

قبل سنين، بزغت للحرية في بلادي شمس وصل إلى قطنا حماها،
وإخوتي الأربعة كما هم دوماً في طليعة شباب البلدة بمظاهراتهم
السلمية يهتفون، أشعلوا في روعي حماسةً لا تقاوم، فنزلت معهم وقد
أخفيت وجهي، فلا يعرفني أحد؛

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

ما خطر لي أن جيراننا من العلوية في مساكنهم اللصيقة بحاراتنا، يتحولون في يوم إلى أداة قتلنا، يطلقون النار على المتظاهرين، ويلاحقونهم، وفي كل يوم خبر لشهيد وأكثر من معتقل، لزوجي وإخوتي الأربعة بينهم نصيب، بعضهم مات وبعضهم عاد، وبعضهم ما زلنا نترقب عنهم خبراً؛

حتى إذا ما اشتدت القبضة الأمنية علينا عام 2013، وباتت قطنا تنام على قصف القذائف، وتفيق على حملات مدهامة واعتقال واسعة، غادر معظم الشباب البلدة إلى خان الشيخ المحررة من النظام، وبقيت مع أمي وأختي كباقي النساء في بيوتنا، نترقب بقلق بين حين وحين أحد إخواني يتسلسل ساعة كل كم يوم ليطمئن على أحوالنا؛

حتى داهموا ذات يوم منزلنا، خلعوا علينا الباب، وبنادقهم صوبنا موجهة، يفتشون المنزل بقلب كل الأغراض، بدايةً أخذوا منا موبايلاتنا وهوياتنا، وعندما انتهوا ضربوا أمي ورموها على الأرض، ثم صرخوا بي وبأخواتي كي نذهب معهم، رجوتهم ألا يفعلوا فانهالوا عليّ بالشتيمة يجرورني، رجوتهم أن نغير ملابسنا،

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

أجاب الضابط الملعون ساخراً: تعالوا كما أنتم أفضل، ثم وبعد رجاء سمح لنا بلبس ثياب الخروج أمامه، رفض أن يغادر الغرفة أو يغلق بابها، لم ندر كيف لبسنا ثياباً فوق ما علينا لنستر أجسادنا؛

كانت المرة الأولى التي يعتقلون فيها نساءً من بلدتنا، وإلى المفزعة أخذوني وأخواتي، رأيتهم أول ما دخلت، ينهالون بأحذيتهم العسكرية على شاب صغير يضربونه، وجهه وجسده الصغير المُضَرَّج بالدماء ما يزال حاضراً في ذاكرتي، وضعوني في أحد مكاتبهم والتلفاز يعرض المظاهرات في الشوارع، كانوا يتفحصون الوجوه ليستدلوا على من يعرفون، ويكررون السب والشتيمة لمن يسمونهم مندسين؛ وفيما كنت على هذه الحال ارتعد على مصيري وأخاف أكثر على أختي الصغرى، لم يتركوها معي وهي ما تزال طفلة، ساقوني إلى منفردة، ثم وبعد قليل أحضروني سحلاً، ألقى بي الضابط على أرض مكتبه، ثم أحضروا أختي، وانهال عليّ الضابط رفساً وهو يسأل "من هذا الذي يهددنا بتفجير المفزعة، أنت عشيقته أم..... تعالي أصورك وأنت لينبسط عليك"

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

يكرر السؤال وأنا لا أفهم ما يقصد حتى بدأ يقرأ من موبايلي رسائل تهديد من الثوار يحذرونهم بأنهم سيهاجمون المفوضة إذا لم يطلقوا سراحنا؛

أقول له أنا لا دخل لي، وهو ينهال ضرباً عليّ بحذائه تارة، وبالأخضر الإبراهيمي تارة، دونما رحمة أو شفقة، وأختاي تبكيان في عجزهما عن فعل شيء لأجلي، ثم أمر العناصر أن يكملوا هم ضربتي، وأخذ أختي إلى غرفة أخرى، ثم عاد يستجوبني وعظامي كانت قد تكسرت من شدة الضرب؛

يسألني "ما علاقتك بالإرهابيين"

أجيب "لا علاقة لي، أنا موظفة في الدولة وأعمل لأوَمِّن لقمة عيشي" يضربني ويكرر الاتهام "أنت تساعدينهم، أنت وأخواتك تهربين العساكر عبر البساتين، من فروا من حاجزنا أمس أين خبأتموهم؟" أنكرت وأنا واثقة من جوابي، فلم أفعل شيئاً مما يقول، كرر عليّ الأسئلة بصيغة أخرى فهتمت منها أنه يحاول استدراجي، فهتمت بعد

قليل أنه يحاول إغوائي، قررت أن أكون قوية، نظرت إليه بقرف واحتقار وبدأت أصرخ بصوت عالٍ أن ما يقوله كذب، كذب، أعادني إلى المنفردة، ثم في اليوم التالي طلبني إلى مكتبه، أجلسني أمام طاولته وقال "أريدك معي"

قلتُ "لم أفهم، ما تقصد"

قال: "أطلق سراحك مع أخواتك، وأمدك بالغاز والخبز والمازوت وما تحتاجين إليه، مقابل أن تأتي إليّ مرةً أو اثنتين في الأسبوع نتسامر سويةً، وتخبريني عن أسماء الإرهابيين الموجودين في قطنا" نظرت إليه بشزر دون أن أجيبه بأية كلمة، فهم جوابي فانهال عليّ كالمجنون ضرباً، وأنا أتلقى صفعاته أفكر بأختي، أتساءل في نفسي "هل يتعرضنَ لذات المعاملة؟" أفكر أنني الأقوى بينهما، فالكبرى بسيطة والصغرى ضعيفة، أجيبه بأن يدعني أطمئن عليهما قبل أن أجيبه على ما يريد، أخذني إليهما وتركني معهما قائلاً "خليكي عاقلة مثنان ما يصير لهن شي"

كنتُ على استعداد أن أتحمّل كل أنواع العذاب على ألا يمسا بسوء، أخذوا أقوال أختي الكبرى أمامي، تسكن مع زوجها في حي برزة بمدينة دمشق، ولا علاقة لها بأي نشاط، كانت في زيارة لنا ساعة داهموا منزلنا، أختي الصغرى، طفلة فتية لا تعرف كيف تحيب، كلما سألتها تتلعثم من خوفها بالكلام، وأنا أركع أمامهم وأقول اتركوها فهي مريضة بالصرع، لم يكن قلبي صحيحاً، أقول ذلك لأنجيتها، أرجوهم أن يحققوا معي بدلاً عنها؛

استدار المحقق نحوي يقول احكي لنا عن إخوانك الشباب؟ أين هم؟
قلتُ له: في لبنان.

سخر مني وقال: أي لبنان؟ التحتا؟ يقصد خان الشيخ؛

قلتُ: لا الفوقا

نهرني وقال لي: أنتِ تكذبين علينا، ونحن نعرف أين هم.

قلت "أنا موظفة لدى الدولة، ولا علاقة لي بإخواني ولا بعملهم، وإن كان سلوكهم غير صحيح، فهم مثل شباب هذه الأيام لا يسمعون نصائح أهلهم، فما ذنبي أنا وأختاي بذلك"

غادر المحقق الغرفة وعاد ومعه الضابط يقول أنت ما رح تفهمي، وأمرهم أن يعيدوني إلى المنفردة، في اليوم التالي أعادوا التحقيق معي، استغربت أنهم يسألونني عن بعض ما قلت من حديث قديم لا يعلمه إلا أهلي وجيراني، مع تكرار لذات الأسئلة القديمة بذات الإهانة والشتيمة، والضرب المبرح أشد من قبل، تكسرت على إثره أسناني، ومع كل يوم جديد، جلسات تحقيق وتعذيب جديدة، أعود بعدها إلى المنفردة ولا مُسَكَّن لآلامي أو دواء لجروحي المتقيحة، والطعام حبة بطاطا مسلوقة لكنها نيئة وكم زيتونة أو برغل وبصل؛ يستخدمون مع التعذيب حرباً نفسية، فينسجون على بعض المعلومات ادعاءات كاذبة لتهديدنا وتخويفنا، ذكروا مرةً أن أخي رمى المسامير على الطريق الموصل لساحة التظاهر كيلا تصل دورياتهم إليه، وأنه ساعد أحد جنودهم على الفرار، وأن بقية إخوتي يشاركون بالمظاهرات، وفيما لم يثبتوا أي شيء علي وأختي، بقيت متماسكة أتحداهم، حتى اعتقدت يوماً أنهم يبحثون عن صيغة ليتخلصوا فيها من عبئنا، فالثوار صنعوا حالة من توازن الرعب معهم، علمت لما خرجت أنهم تسللوا أكثر من مرة إلى المنطقة، وأنهم صعّدوا العمليات فيها، وأن عناصر المفرزة تعرضوا لأكثر من هجوم، وأن

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR.ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

أحد الشبيحة حُطف كردٍ على اعتقالنا، لم أكن حتى خروجي أعرف لماذا أوقف الضابط جلسات تعذيبي، وبدا كأنه يبحث عن صفقة يعقدها معي لإخراحي وأخواتي؛

حتى أن العميد أتى إلى المفرزة، استدعانا لمكتب الضابط يتصنع لهجة أبوية، أسمعنا حديثه معهم "بأننا لا علاقة لنا وأنا سنعمل مع الدولة وإذا تعاوننا معهم فسيطلقون سراحنًا"

ثم التفت إلى أختي الصغرى يسألها،

قلت "اتركها وأنا معكم أفعل كل ما تريدون"

غمز العميد الضابط بنظرة خبيثة وغادر، وفي اليوم التالي أحضرني المحقق إلى غرفته، وقال لي أن كل الأمور تحت سيطرتهم، وأنهم يعرفون كل الشبان وتجمعاتهم وتحركاتهم، وستتم محاسبتهم في الوقت المناسب، طلب مني أن أسلمه ثلاثة شبان مطلوبين، فوافقتُ؟

قال احلفي، حلفتُ له بالله بأنني سأفعل كل ما يريد؛

ضحك ساخرًا، وقال إنه لا يؤمن بالله حتى يصدق حلفاني به،

أشار إلى فرجي وهو يقول "احلفي بـ..." اقترب وهو يقول احلفي به حتى أتركك وأخواتك،

كرر ذلك بلفظه البذيء، ولم يتركني حتى حلفت كما يريد؛

أجلسني على الكنبه وأخرج تعهداً بأني سأعمل معهم، وأبلغني أن عليّ أن أمرّ لعنده كل أسبوع مرتين، وأن أتصل به من أجل المعلومات التي طلبها عن الشباب، وأنه يعرف كيف يصل لي وقتما يريد، ثم طلب إحضار أختي الاثنتين، وأخرج أوراقاً بيضاء بصمنا نحن الثلاثة عليها، وخرجنا؛

من على باب المفرزة مسكت بأختيّ أجرهما إلى المنزل مسرعةً كطير جريح، وصلت بقدمين حافيتين وجسد متقرّح هزيل، وما إن حضنتني أمي على الباب حتى انهارت أعصابي، وقعدت في الفراش عدة أيام، لا أدري هل السبب أنني أحتاج أن أظل في حضنها لضعفي، وقد حملت في سجني هم أختي، أم هي الجروح في جسدي على انعدام الدواء وقلة الغذاء أوقعني، أم هو تفكيري فيما مضى ألمحه في نظرات الجارات وهن يزرنني، عيونهن الحائرة بين الشك والشفقة تلاحقني، وأنا بين سعدي وبؤسي أحدث نفسي أنني تارة أعتز

بها فأسلمهم جسدي لأنقذ أختي، و تارة أخرى ألومها فقد جاريتهم
بحديث يُغضب ربي، وبين هذا وذاك قلق وهمٌ كبيرين فيما طلبوه
مني، المحقق والضابط والعميد، استسلمت في تفكيري إلى نتيجة، ما
من طريقة أستطيع بها أن أخدمهم، وما من حل أمامي إلا الرحيل،
نعم لقد آن أوان الرحيل؛

لم يتوقف المحقق من ملاحظتي باتصالاته، وهو يطالبني بوعدتي،
وأنا استمهله وأسايهه لحين ترتيب مغادرتي مع أمي وأختي، وخلال
أيام قليلة رتب إخوتي طريق وصولنا إليهم في خان الشيخ، كم كان
اللقاء سعيداً وهم يجبرون كسري بمشاعر فخرهم بي، يحاولون
إسعادي ومداواة جراحي؛

الأوغاد في المفرزة ما أن وصلهم خبر مغادرتي حتى داهموا منزلنا
وحرقوه بكل ما فيه، ورغم حزني على كدِّ عمرنا وذكرياتنا، كان
الوقع هيناً أمام اعتقالهم أختي من منزلها في حي برزة بدمشق، ما
كنا نظن أنهم يصلون إليها هناك، وزوجها مهان لهم، عشرون يوماً
أعيشها في شقاء ولوعة، كيف لا وأنا أعرف خستهم ووحشيتهم،
دفعت مع إخوتي كل ما نملك لإنقاذها، فأفرجوا عنها محطمةً جسدياً

ونفسياً، ترتعب من أي رجل بما فيهم زوجها وأولادها، حتى سافروا معها إلى لبنان من أجل علاجها؛

ثلاثة أعوام في خان الشيخ بأقصى الجنوب، ومنها إلى الشمال بالباصات الخضر، لا يترك لنا الأسد مكاناً آمناً في هذا الوطن، كأنها نكبة جديدة أعيشها مع من تبقى من أهلي، ومع رجل طيب من أصدقاء أخي تزوجني، يعين بعضنا بعضاً على صعوبات المعيشة، ومرارة فقدان الأحبة، ففي خان الشيخ استشهد أحد إخوتي، وأصيب آخر منهم إصابات بليغة تعيق حتى الآن حركته، استشهد من قبل زوجي الأول، واعتقل أخي، تدهورت صحتي، خسرتنا بيتنا وكل ما نملك حتى بنتنا عائلة منكوبة؛

القصة 7 - أين طفلي؟

الخطف والإخفاء، الحرمان والتعذيب والإهانة، لم يكونوا أسوأ ما عشت في تجربة اعتقال، فهناك ما هو أفظع؛

وقد كنا من قبل سعداء بحياتنا البسيطة، يعود زوجي من عمله في البناء، فيغسل تعب النهار على سفرة العشاء، تجمعنا، وأولاده يتدافعون نحوه في سباق لمن يجلس في حضنه أو قربته، وهو بين كل لقمة ولقمة يأكلها، يُؤثر أولاده بأطيبها من على السفرة، لم يكن من المهمين بالشأن العام، حتى بدلت الثورة السورية حاله، فبات يكثر من الحديث عن الظلم الذي يتعرض له الناس، ويتفاعل بإحساس عالٍ مع ما يسمع من قتل وتكبير يرتكبه الأمن بحق الأهالي، يزيد من وطأة ذلك أننا في منطقة خليط من السنة والعلوية، وفيما كنا جيراناً، نتعايش معهم بمحبة وسلام، فاجأونا أنهم يخبرون الأمن عن يتعاطف منا مع الثورة، ثم فعلوا أكثر من ذلك بأن حملوا السلاح وشكلوا مجموعات من الشبيحة، يداهمون المظاهرات، يضربون

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

ويخطفون ويقتلون – مع الأمن - الشباب العزل، تحركت لدى زوجي الحمية أكثر وانضم - سرّاً - لكتيبة جيش حر شكلها بعض أبناء منطقتنا، والشبيحة مع الأمن والجيش يوسعون من دائرة الضحايا بالاعتداء على النساء والأطفال والشيوخ خلال حملاتهم في مداومة البيوت للبحث والتفتيش عنم ينضم أو يتعاون أو يتعاطف مع الجيش الحر؛

حرص زوجي آنذاك على عدم كشف أمره، وبالرغم من تركه عمله ليمضي معظم يومه مع الثوار في البساتين، كان يلف وجهه بشماخ خلال الطريق إليهم، حتى اتصل بي ذات يوم يطلب مني انتظاره مع الأولاد على العشاء وإن تأخر، فهو كما أخبرني مشتاق إليهم، وفيما بقيت إلى منتصف الليل ألاعبهم كيلا يناموا قبل مجيئه، طرق الجيران بابي يخبرونني أن الأمن اعتقله في مدخل البلدة زوجي وشاب آخر معه، نزل الخبر كالصاعقة عليّ، وعبثاً ذهبت محاولاتي في الاتصال به أو السؤال عنه، هاتفه مغلق ورغم معرفتنا بمكان اعتقاله لا أحد في المنطقة يجرؤ على التوسط لأجله، فتهمته كما يقولون إرهابي؛

زوجي حبيبي أبو خالد صاحب القلب الرقيق، في قامته المستقيمة الطويلة، وعضلاته المفتولة بمنكبين عريضين وساعدين كالحديد، تخاله وكأنه قطعة من الاسمنت المسلح الذي يصنعه، يحمل قلباً رقيقاً كأطفاله الذي حرص لأيام ألا يروا وإياي دموعه، وكلما انتبهت أسأله يحدثني عما يسمع من تعذيب واعتداء يتعرض له المعتقلون رجالاً ونساء، اليوم هو معتقل معهم، وقد دفعته حميته لحمل السلاح دفاعاً عن المتظاهرين وعنهم، زوجي وحبيبي أبو خالد كان محور حياتي، يملأ بحبه فراغي، ويكفيني هم الانشغال بلوازم البيت والأطفال، تركني لأول مرة الآن وحيدة، وفيما كنا بلا دخل خلال الأشهر الأخيرة التي انصرف فيها للعمل مع الجيش الحر دفاعاً عن الناس، استنفذنا مدخراتنا، وبات أطفالي ينامون جياً، وبالرغم من أن أهل بلدتي بين حين وحين يتعاطفون معي بالسؤال وجلب بعض الحاجات، قررت الاعتماد على نفسي، وعملت بائعة متجولة، أستلف بضاعتي من تاجر جملة كان صديقاً لزوجي، وأسدد له الثمن عند تصريفها على بيوت البلدة التي أدور عليها، تاركة ابنتي وعمرها آنذاك ثلاثة عشر عاماً في البيت، لتعتني بإخوانها، وأعود متعبة في المساء إلى حالة ثانية من الشقاء، أمضي الليل مع صغاري على

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا،
مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

مشاعر الأسى واللوعة والقلق على زوجي، وكوابيس لا تفارقني في المنام أراه بصورة من حدثني عنهم من المعتقلين، أخباره انقطعت عتاً تماماً، وكلما سألت أحداً عنه، قال اعتادي على هذا الوضع فالأغلب أنهم قتلوه؛

بعد خمسة شهور علمت خبر الإفراج عن أحد الشبان، هرولت إلى بيته مسرعةً أسأل عن زوجي، وجرعة جديدة من الحياة أعطانيها حينما أجاب أن أبا خالد حي لم يموت، وعلى أمل خروجه بقيت أحد عشر شهراً أنتظر، لا يفارقني مع الدعاء اليقين أننا سنجتمع، وليستجيب ربي لي بداية رمضان، فها هو ذا أبو خالد معنا، خرج وابتسامة صامته في ثغره، مع لاحة عطف من عينيه الجميلتين تشع لتطغى على أثار التعذيب البادية على صحته، يكرر دوماً طلبه لي أن أسامحه على ما سببه لي من كدٍ وقهر وألم، ويعدني أنه لن يعاود أي نشاط مع الجيش الحر كيلا يتركنا ثانية؛

استعاد زوجي عمله في البناء، وسعادتنا لا توصف وهو كما كان في كل مساء يعود للأطفال بالحلوى وحاجات العشاء، يريد تعويضهم عما فات، يريد محو ذاكرة الرعب والأسى من حياتنا، لكن هيهات

لنا أن نعيش معهم في وطن واحد بأمان، ففي أولى أيام العيد عابديوا البلدة بحملة مدهامة، ونحن نرى من النوافذ العربات وأكثر من خمسين عنصراً ملأوا شارعنا، انصب جل همنا على جيراننا، فما كان يخطر لنا أن بيتنا سيدهم، ذلك أن زوجي بعد الإفراج عنه لم يأت بفعل ولم ينبس بحركة ولم يهتم بكلمة ضدهم، دون أن يمنعهم ذلك من خلع الباب علينا، ودخول منزلنا بأسلحتهم وإلقاء القبض على زوجي وولدي خالد؛

نسيت زوجي ووثبت إلى الضابط أصرخ أمامه ليتركوا طفلي، قلت له إنه في عمر عشر سنين، لا يغادر المنزل إلا إلى المدرسة، ما ذنبه، رجوته أن يتركه، دفعني قائلاً سؤال وجواب ونعيده إليك، تمسكت بابني أشده من بين أيديهم نحوي، ومعى ابنتي التي اعتادت الاعتناء به، تحتضنه ملتصقة به وباكية لأجله، وهم دونما رحمة ركلوها حتى ارتطمت بجدار الدار، وانهالوا عليّ بالسباب البذيء أنهم سيأخذون ابنتي معهم إذا لم أحرص؛

ويا هون لوعتي وعذابي في تجربة اعتقال زوجي الأولى، فهذا هو الآن عندهم ومعه فلذة كبدي، لأيام ثلاثة سمعت بعدها أن زوجي

تمكن من الهروب منهم على حاجز التربة في قطنا، أكاد لا أصدق وأنا أعرف ما أسمع عن خطورة هذا الحاجز وشدة التعذيب فيه، ومشاعري في الخوف على ولدي طغت على فرحتي بنجاة زوجي، وكما توقعت داهموا بهمجية منزلنا يفتشون، ويسألون؟

تمالكت نفسي وأنا أجيبهم بارتياح على سؤالهم "أين هما، صالح وابنه؟"

وكنت قد اعتقدت من صيغة السؤال أن ابني خالد - مع أبيه - قد نجى منهم، قلت أليسا عندكم؟ أنتم أخذتموهما!

قال أحدهم: لا، هما هربا من عندنا، وأنت التي تعلمين أين يختبان؛ قلت: لم يأتيا إلى هنا، ولا نعرف عنهما شيئا ولا أصدق أنهما هربا؛ أشار الضابط إلى أحدهم فضربني على رأسي، ومن على الأرض سحبني إلى إحدى سياراتهم، وفيها كبل يدي وعصب عيني، وقادني إلى ما عرفت لاحقا أنه فرع الأمن العسكري، أنزلوني في درج طويل إلى قبو تحت الأرض، دفعوا بي إلى زنزانية وأقفلوا علي بابها حتى يومين، لم يكلمني فيها أحد، أخرجوني معصوبة العينين مكبلّة

إلى التحقيق، أحلف لهم أنني لا أعرف عن زوجي شيئاً، لا أعرف له مكاناً بعد أن اعتقلوه مع ابني، وهم لا يصدقون، يكررون أنني كاذبة وبأشع الكلمات ينادونني، ويهددون أنهم سيفعلون ويفعلون..... ضربوني ضرباً وحشياً كسر ساقي، وعذبوني حتى فقدت الوعي، وفي كل مرة لا أستيقظ إلا على جولة تعذيب وإهانة جديدة لمدة خمسة عشر يوماً، وأنا لا جواب لدي عن مكان زوجي، نقلوني بعدها من المنفردة إلى مهجع فيه مجموعة من النساء، ورغم أنني أنست بهن، بقيت من خوفي لا أتحدث معهن، ولا أرد على أسئلتهن، وعلى هذه الحال بقيت ثلاثة شهور حتى أفرجوا عني؛

علمت عند خروجي من المعتقل أن أهل بلدتي الطيبين قد جمعوا مالاً من أجلي، ودفعوه لسمسار قريب من الأمن من أجل التوسط للإفراج عني، والجيران خلال ذاك احتضنوا أطفال الصغار، علمت أن الدورية التي اعتقلنتي حرقت بيتنا بما فيه من أغراض قبل مغادرته، حرقوا أيضاً منازل أهل زوجي وأقاربه بعدما عاثوا فيها عبثاً؛

على باب فرع الأمن العسكري لاقاني عمي والد زوجي مع أحد أعيان بلدتنا الذين بذلوا جهداً للإفراج عني، قبلني من رأسي وناولني

ابنتي وأصغر أبنائي، وأشار لي إلى سيارة في نهاية الشارع كي اذهب بها إلى حيث يقيم زوجي، أخبرني أن لا أمان لي في البلدة، وأنه يخشى من معاودة اعتقالي، ودونما مزيد من الحديث اكتفيت بالأمل أني سأذهب إلى حيث خالد وأبو خالد، أينما كان مقامهم فهو حلو لدي، وما عدت أريد من الدنيا سوى لم شملي بهما، وها هي ابنتي تحت جناحي ملتصقة، وولدي الأصغر في حضني نستقل السيارة باتجاه خان شيخون، والسائق المعتاد على الطريق يناول العناصر على كل حاجز نصادفه رزمة من المال الذي جمعه الطيبون من أهالي بلدتنا، وأنا ما زلت أعاني رهاب الكلام فلا أحدثه، مكتفيةً بكلمات عمي أني سأكون مع زوجي بأمان؛

وبالفعل وصلت، خان شيخون، المسلحون فيها جيش حر، لا شبيحة ولا مخابرات ولا جيش للنظام هنا، هو الأمل من جديد للعيش مع أسرتي بأمان، عانقتي زوجي وحزن دفين في عينيه يكسر سعادة لقائنا، بادرتة بالسؤال عن خالد؟

ضممني ثانية على صدره، يخفي عني دموعه، نظرت في وجهه أسأله أين خالد؟ أطرق رأسه باكياً دونما جواب؟

لطمت نفسي ولطمته على صدره أصرخ به أخبرني أين خالد؟ أما زال معتقلاً لديهم، كيف تركته ساعة هروبك معهم؟

أجابني في نحيب يختلط بصوت خافت حزين "ما كنت أعلم أنهم اعتقلوه معي، ما كنت أعلم أنه بجواري وأنا أخوض مغامرتي لأنجو منهم، استغفلت الحرس على الحاجز ليلاً، ضربت ثلاثة منهم، وأوقعتهم، وتسلفت في البراري حتى وصلت المناطق المحررة، لم أكن أعلم أنني تركت ولدي لديهم، وبقيت أخطط لإحضاركم حتى علمت من أهل البلد أن خالد ولدي معتقل لديهم، علمت أن الجبناء بعد أقل من ساعة اقتادوه بسيارة ثانية مشت خلف الدورية التي اعتقلنتي، ما كنت أعلم أنهم أخذوه معي، وضعوني في السيارة وحدي، وإلى حين هروبي منهم لم أره ولم أسمع صوته، الجبناء أخفوه عني"

جحيمهم يلاحقني، ومع كل عذاب أظنه الأصعب، أجدهم يبتدعون شكلاً من العذاب أشد، صحت من غيبوتي والسيروم معلقاً في يدي، أحاول بصعوبة أن استجمع ذاكرتي لأعرف أين أنا، ظننت نفسي ما زلت في المعتقل، لا، لست في المعتقل، فالمكان نظيف، والطبيب

إنسان، ابتسم في وجهي وهو يعيد فحصي قائلاً زال البأس أم خالد، نظرت إلى زوجي فإذا بأسنانه مكسرة، وجرح محفور على وجهه من أثر التعذيب، كأني لم ألاحظ ذلك ساعة التقينا أمس، تعانقنا من جديد، وما من حديث هذه المرة سوى النحيب، كلانا يفكر بولدنا خالد؛

في خان شيخون لا خوف من الاعتقال يلاحقنا، لكنها مخاطر الموت بالقصف يداهمنا في كل حين، تعاشنا على أوجاعنا معها أربع سنين، حتى لاحقنا النظام مع الروس فيها، ورحلة تهجير جماعي جديدة إلى إدلب، وفيها اهتمّ زوجي بعلاج ساقى المكسورة من أثر التعذيب في المعتقل، رافقتي إلى تركيا حيث تخلصت من بعض إعاقتي وألمي بتركيب مفصل وزرع صفائح، عدنا بعد ذاك إلى الشمال لنسكن أريحة، وفيها مرةً ثانية لا حقنا القصف، وأحال بيتنا الذي كنا نستأجره إلى كتلة نيران، فقدنا على أثر ذاك أغراضنا البسيطة وكافة أوراقنا الثبوتية، وخوفاً على طفلينا قررنا الرحيل، هذه المرة إلى عفرين، حيث خطر الطيران أقل من غيرها في باقي المناطق المحررة، وأبو خالد الذي لم يعد يفارق الدار، فاقمت السكينة من ألمه على خالد، وبين مشاعره في لوم نفسه، وشوقه وقلقه ولوعته أصيب

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

بمرض في قلبه، أوصاه الأطباء على إثره بتجنب الجهد والزرع، كيف ذاك وما من مصدر لنا غير عمله لنعيش، كيف ذاك وقلقه على طفله لا يغادر تفكيره، جسده المتين وروحه المتقدة لم يعودا كذلك، وأنا التي كنت أحتمي به بتّ أحنو عليه، أتذكره فيما مضى، يداه أقوى من الحديد الذي يسلمح به الاسمنت، وقلبه كالصخر لا يهاب المنيا، قصته في التغلب على أعتى الوحوش في حاجز التربة بقطنة ونجاته منهم، تشهد أنه لم يكن يعرف المستحيل، يتحدث أصحابه عن بطولاته، وآخرها يوم خطط في آخر اعتقال - وهم يسوقونه للتعذيب - طريقة يباغتهم فيها بهجومه وحيداً عليهم، حوّل البطل زوجي الجنازير في يديه من قيود لحريته إلى سلاح يزود به كرامته، انتهز الفرصة وهم يسخرون منه ليلاً ليوقع ثلاثة منهم أرضاً وينجو منهم، لم يغلبه تعذيبه، ولم يطم من عزيمته اعتقالهم، لكنه الآن يقتله التفكير فيما جرى لنا بعد ذاك، اعتقالهم لي وتعذيبي، خطفهم لطفلنا البكر خالد وإخفاؤه، النشرد، المرض، الفاقة، الحنين للأهل، القلق على الولد، حب الانتقام مع العجز وقلة الحيلة، لوم النفس والندم أحياناً، الإحباط، تلاشي الأحلام الكبيرة، وأشياء أخرى كثيرة نالت من إرادة زوجي البطل وهتّت من صحته؛

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعاً مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG

وأنا في جواره أبكي على ولدي بعيداً عنه كيلاً أتقل عليه، أحدثه بما أشاهده من أخبار، عساني أعيد إليه الأمل، ومع كل خبر أو حدث أشاهده على التلفاز أبحث عن أثر ذاك على ولدي، سمعت مطلع العام بمديرة اليونيسيف تزور فيصل مقداد، وزير خارجية النظام، قالوا إنها مسؤولة عن الطفولة، وفيما أتساءل إذا ما كانت تعرف أنهم اعتقلوا صغيري، أناشدها أن تسألهم وهي تلتقيهم عنه، أتابع مثل غيري مسارات التطبيع مع نظام الأسد، وحيث لازلت أظن بالأتراك والعرب خيراً أناشدهم "أن يطلبوا ولدي من الأسد، قبل أن يعطوه شرف اللقاء، وأنا أفديهم بروحي" من يوصل صوتي أني مثل كل الأمهات والآباء أبحث في الأخبار عن ضوء يكشف مصير ولدي، يعيد فلذة كبدي، من يوصل صوتي أني دون ذاك لن أسامح.

خاتمة على ظهر الغلاف،

كيلا تضيع الحقيقة، وكيلا يبقين وحدهن، ومن أجل اللواتي لازلن يعشن مثل آلامهن، من أجل إنصافهن، ولضمان عدم إفلات المتورطين بعذابهن، لضمان عدم تكرار ما جرى ويجري بحقهن، عملت منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان - بشكل تطوعي وبالتعاون مع تجمع الناجيات - على تدوين وصياغة ونشر سبع شهادات لناجيات من هولوكوست الأسد، يذكّرن فيها بقضاياهن وقضايا من لا زلن تحت الاعتقال لإنقاذهن، ويناشدن شعوب وحكومات العالم عدم الإسهام في أية تسوية تتجاوز مقتضيات العدالة اللازمة لبناء السلام المستدام؛

نساء في هولوكوست الأسد، ليست رواية، هي فصول في حكايا ما تزال واقعا مستمرا، مدونة من قبل منظمة ميزان للدراسات وحقوق الإنسان بالاستماع للشهود والضحايا

MHR ORG / WEB.MIZAN-HR.ORG / TEL +90 536 072 24 02 / E-MAIL INFO@MIZAN.ORG